الفراسة عند العرب
القسم الرابع

الأستاذ عبد الكريم زهور عدي

الفراسة عند الجاحظ (ـ ٢٥٥)

قد يكون من الضروري والمفيد أن أستقدم الكلام في الفراسة عند الجاحظ ببضع ملاحظات :

الأولى أن من يتقدم إلى الجاحظ يبتغي دراسة جانب من جوانب أدبه تتلقاه صعوبتان : أولاهما اتساع علمه المستخرج من الكتب وغنى تجربته المستخلصة من الحياة والناس . وثانيتهما طريقته في التأليف إذ يختلط عنده كل شيء بكل شيء . فيجد لذلك من يريد أن يدرس جانباً منه أن عليه أن يدرس مؤلفاته جميعاً أو أن يستعرضها على الأقل بشيء كثير من الأناة .

الثانية أن ما ورد في كتابات الجاحظ مما يدخل في الفراسة لم ينصّ دائماً أنه داخل فيها . ولست أرى بأساً في ذلك . فما كتبه أبقراط مثلاً والأطباء من بعده من يونان وعرب مما يدخل في الفراسة لم ينصّوا هم أيضاً أنه منها ولكنه كان منها وعُدَّ منها وأدخل في علم الفراسة .

الثالثة أن كثيراً من الأقوال في الفراسة الواردة في مؤلفاته ليست له بل هو ينقلها عن غيره . وما من بأس ههنا أيضاً . فإذ لم ينكرها أو

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ينقدها فقد أصبحت من معلوماته ، ويمكن إلا في حالات خاصة أن تُعد أقوالاً له قد ارتضاها .

ثم إن الحوادث والأقوال والآراء في الفراسة جاءت منثورة في كتبه ورسائله ، فكان لابد من جمعها وترتيبها وتبويبها ، وقد فعلت متبعاً في التصنيف خطة تشبه إلى حد ما خطة الفخر الرازي في كتابه « علم الفراسة » :

الفراسة وحدودها

وردت كلمات « فراسة وتفرس ومتفرس .. » كثيراً في كتابات الجاحظ ، ولكن مدلولاتها كانت تختلف سعة وضيقاً من موضع إلى موضع فيها :

فقد استعملها بمعنى الكشف عن الطباع الثابتة ، وهو في الحقيقة الموضوع الأصلي والمركزي لعلم الفراسة :

قال :[٨٦] « فلما حزتُ المؤانسة .. أردت خبرة المشاهدة ، **فبلوت أخلاقك وامتحنت شيمك وعجمت مذاهبك على حين غفلاتك وفي الأوقات التي يقل فيها تحفظك ، أراعي حركاتك وأراقب مخارج أمرك ونهيك** ، فأرى من استصغارك لعظيم النعم التي تنعم بها واستكثارك لقليل الشكر من شاكريك ، ماأعرف به وبما قد بلوت من غيرك وماقد شهدت لي به التجارب ، **أن ذلك منك طبع غير تكلف ..** »

وقال :[٨٧] « وأنا أظن أن الذنب مقسوم بينك وبين وكلائك . فارجع إلى نفسك فلعلك أن ترى أنك إنما أتيت من قبل الفراسة ...

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولابد في باب البصر بجواهر الرجال من صدق الحس ومن صحة الفراسة ومن الاستدلال في البعض على الكل ... » .

من هذين النصين يتبين أن مدلول الفراسة فيهما هو الكشف عن الطباع و « جواهر الرجال » ، وأن المتفرس يجب أن يتوفر فيه الاستعداد والخبرة الطويلة بالناس ، وأن من الطريقة في الكشف عن الطباع مراقبة المتفرّس فيه في غفلاته وحين ينطلق على سجيته .

وجاءت الفراسة ـ في كتابات أبي عثمان ـ بمعنى أوسع وهو الكشف عما يحيك في الصدور من نيات وعواطف وأفكار وتدبير الخ .. أي بكلمة واحدة من أسرار . فمن رأي الجاحظ أن الأسرار تنازع منازعة شديدة للظهور :

يقول :[٨٨] « ومن شأن الصدر أن يضيق بما فيه ويستثقل ما حمل منه ، فيستريح إلى نبذه ويلذ إلقاءه على اللسان ، ثم لا يشفيه أن يخاطب به نفسه في خلواته حتى يفضي به إلى غيره ...

« فعسر على الإنسان الكتمان ... فاعتراه الكرب لكتمان السر وغشيه لذلك سقم وكمد يحس به في سويداء قلبه ... فإذا باح بسره فكأنه أُنشط من عقال .. »

وحتى إذا تمكنت الإرادة من كبح الشهوة إلى البوح فإن السر ينكشف للراصد اليقظ بظواهر هينة لطيفة ماتكاد تبين :

يقول : « **ولو أن أوزن الناس حلماً ملك لسانه** وحصّن سره وقلل لفظه ، **ماقدر على أن يملك لحظ عينيه وسحنة وجهه وتغير لونه وتبسمه أو قطوبه** عندما يجري بلبه من ذكر ذلك السر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أو يخطر بباله منه ، فيبدو في وجهه ومخايله إذا عُرِّض بذكره أو سنح له نظير أو مثيل أو حضر من له فيه سبب .. »

وإن للجاحظ أوصافاً للمخايل كما تتبدى فيها بعض العواطف ـ مثل التقوى والنفاق والرياء والحب والشهوة والعداوة والحسد والغيرة .. ـ وبعض الأخلاق ـ مثل البخل والطمع والشره والطموح والأريحية والوقار والفتوة .. ـ والصور التي تتخفى بها وأنماط السلوك التي تتنكر بها ، تدل على دقة في الملاحظة ونفاذ في البصيرة وصدق في الفراسة ولطف في التعبير غريبة ونادرة .

ويبدو أن الجاحظ قد أوجعه أشد الوجع وآذاه حسد الحاسدين ـ ومثل أبي عثمان يُحسد ـ فخلف لنا رسالتين في الحسد . وفي الرسالتين تحليل لهذه العاطفة ووصف لآثارها النفسية ومظاهرها الجسدية ليس كثيراً في الأدب ما يصل إلى مستواها . وأكتفي بنصين يتصلان فيما نحن فيه من بحث الفراسة :

قال :[٨٩] « وما لقيتَ حاسداً قط إلا تبين لك مكنونه بتغير لونه وتخوص عينه وإخفائه سلامه والإقبال على غيرك والإعراض عنك والاستثقال لحديثك والخلاف لرأيك »

وقال :[٩٠] « وربما بلغ من الحاسد جهد الحسد إذا لم يعمل بشهوته ولم تنفذ سهام لطائفه ، أن يقر على نفسه بالخطأ ويعترف أن الطعن الذي كان منه في الكتاب عن سهو وغفلة ، وأنه لم يكن بلغ منه الاستقصاء ما أراد وكان مشغول الفكر مقسم الذهن ، فلما فرغ له ذهنه وانفرد له همه راجع ما كان بدر منه ، لتظن به الرّعة ويقال : إنه لم يرجع عن قوله واعترف بالخطأ إلا من عقل وازع ودين خالص . وإنما

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ذلك حيلة منه ودهاء قدمه أمام ما يريد أن يؤكد لنفسه ويوطد لها من قبول القول في سائر ما يرد عليه من الكتب ... ويجعل ما تقدم له من الرجوع عن قوله عندما تبين له خلاف ما قال أوثق أسباب عدالته وأحكم عرى نصفته ...

« وإنما البلية في غيبة حذّاق المغتابين الذين يسمعون فيضحكون ولا يتكلمون ... وأحذق منهم الذين يستمعون ويُسكتون القائل ويدعون الله بالصلاح للمقول فيه . فهم قد أسكتوا القائل المغتاب ودعوا للمقول فيه وأوكدوا قول القائل .. »

وتوسع الجاحظ بمعنى الفراسة إلى حدود أبعد حتى أصبحت تدل على التبصر في الأمور وتفهم المواقف واستقراء الحوادث والكشف عما وراءها :

ذكر عن خالد بن برمك أنه[٩١] « بينا هو على سطح من سطوح القرى مع قحطبة (بن شبيب الطائي صاحب أبي مسلم) وهم يتغدون ، وذلك في بعض منازلهم حين فصلوا من خراسان إلى الجبل ... وبين قحطبة وبين الأعداء مسيرة أيام وليال ... وذلك حين نزلوا وبهم كلال السير ، وحين علّقوا على دوابهم ونصبوا قدورهم وقرّبوا سُفَرهم ... فنظر خالد إلى الصحراء فرأى أقاطيع الظباء قد أقبلت من جهة الصحارى حتى كادت تخالط العسكر . فقال لقحطبة : أيها الأمير ناد في الناس : ياخيل الله اركبي ، فإن العدو قد حث إليك السير وعامة أصحابك لن يسرجوا ويلجموا قبل أن يروا سرعان الخيل . فقام قحطبة مذعوراً فلما لم ير شيئاً يروعه ولم ير غباراً قال لخالد : ما هذا الرأي ؟ قال : أيها الأمير لا تتشاغل بي وبكلامي وناد في الناس ، أما ترى أقاطيع الوحش قد أقبلت حتى خالطت الناس ؟ إن وراءها جمعاً عظيماً ... فوالله ما ألجموا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وأسرجوا حتى رأوا ساطع الغبار ، ولا تلبّسوا وتسلحوا حتى رأوا الطليعة ، فما التأموا حتى استوى أصحاب قحطبة على ظهور خيولهم . ولولا نظرة خالد بن برمك وفراسته لقد كان ذلك الجيش العظيم اصطلم » .

ويدعو الجاحظ أنواع الفراسة الثلاثة هذه « العلم بالغائب » ويعرفه التعريف التالي[٩٢] : « **فأما العلم بما غاب مما لا يدركه أحد بعيان ، مثل سرائر القلوب وما أشبهها ، فإنما يدرك علمها بآثار أفاعيلها وبالغالب من أمورها ... وأول العلم بكل غائب الظنون ، والظنون إنما تقع في القلوب بالدلائل ، فكلما زاد الدليل قوي الظن حتى ينتهي إلى غاية تزول معها الشكوك عن القلوب ...** »

وقال :[٩٣] « وقال أوس بن حجر :

مليح نجيح أخو مأزق نقاب يحدث بالغائب »

ولكن الجاحظ يدخل في الفراسة أيضاً « الفراسة في الحيوان » . ففي مواضع كثيرة من كتاب « الحيوان » ومن كتبه الأخرى يسرد الصفات التي يجب أن تتوفر في الأنواع المختلفة من الحيوان ليكون الحيوان أقوى قوة أو أسرع عدواً أو أهدى إلى غاية أو أصبر على المشاق أو أجمل شكلا الخ .. ويذكر أحياناً الطرق والأساليب التي تعرف بها هذه الصفات :

قال :[٩٤] « قال (أفليمون صاحب الفراسة) : جماع الفراسة (في الحمام) لا يخرج من أربعة أوجه : أولها التقطيع والثاني المجسّة والثالث الشمائل والرابع الحركة :

« فالتقطيع : ... الخ »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقال :[٩٥] « الأصمعي قال : قال ابن أقيصر* : خير الخيل إذا استدبرته جنا وإذا استقبلته أقعى وإذا استعرضته استوى وإذا مشى ردى وإذا ردى دحا .

« ونظر ابن أقيصر إلى خيل عبد الرحمن بن أم الحكم فأشار إلى فرس منها فقال : تجيء هذه سابقة ، قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : رأيتها مشت فكتفت وخبّت فوجفت وعدت فنسفت »

فما مكان تلك العلوم العشرة أو الأحد عشر الملحقة بعلم الفراسة من علم الفراسة عند الجاحظ ؟

جاء في كتاب الحيوان تحت عنوان « باب آخر يدّعونه للفأر »[٩٦] « وهو الذي ينظر فيه أصحاب الفراسة في قرض الفأر كما ينظر بعضهم في الخيلان وفي الأكتاف وفي أسرار الكف : ويزعمون .. »

وفي كتابات الجاحظ ، التي بين الأيدي ، نصوص يرد فيها ذكر هذه العلوم الملحقة[٩٧] ، ماعدا علمي الريافة والاختلاج ، ولكنها قليلة ومقتضبة ومحدودة الدلالة وليس فيها ما يدل على أن الجاحظ كان يرى فيها علوماً قريبة من علم الفراسة بله أن تكون ملحقة به ـ إلا القيافة فقد قرنها بالفراسة في مواضع كثيرة فاعترف بذلك بالعروة الوثقى التي تربط بين هذين العلمين .

---

* ابن أقيصر أحد بني أسد بن خزيمة بصير بالخيل ـ جنا : أكب ، في أمالي القالي : « ويستحب من الفرس أن يكون إذا استدبرته كالمنكب » ـ في أمالي القالي : « الرديان : أن يرجم الأرض رجماً بين المشي الشديد والعدو ، وإذا رمى بيديه رمياً لا يرفع سنبكه عن الأرض قيل : مرّ يدحو دحواً » ـ كتفت : ارتفعت فروع أكتافها ـ الوجيف : ضرب من السير فيه بعض السرعة ـ النسوف من الخيل : الواسع الخطو (منقول عن حواشي المحقق على « البيان والتبيين »)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأمصار والبلدان

الجاحظ يرى أن البيئة ذات تأثير حاسم على طبائع قطانها من ناس وحيوان ، فتطبعهم جسدياً ونفسياً بطابعها الخاص :

يقول :[٩٨] « **ونسيت ، أبقاك الله ، عمل البلدان وتصرف الأزمان وآثارهما في الصور والأخلاق وفي الشمائل والآداب وفي اللغات والشهوات وفي الهمم والهيآت وفي المكاسب والصناعات ..** »

والبيئة الطبيعية إنما هي الشمس وحرارتها والأهوية والمياه والتربة :

قال :[٩٩] « فالسواد والبياض إنما هما من قبل خلقة البلدة وما طبع الله عليه الماء والتربة ومن قبل قرب الشمس وبعدها وشدة حرها ولينها .. »

وقال ، وهو يتحدث عن المسخ إمكانه وامتناعه ، ناقلاً قول من يرى إمكانه نتيجة فساد يطرأ على البيئة :[١٠٠] « .. **لا ننكر أن يفسد الهواء في ناحية من النواحي فيفسد ماؤهم وتفسد تربتهم فيعمل ذلك في طباعهم على الأيام** كما عمل ذلك في طباع الزنج وطباع الصقالبة .. »

وقد كرر الجاحظ في كتاباته ذكر بلاد الترك وحرة بني سُليم مثلاً لقوة تأثير المصر لا على سكانه الأصليين فقط ولكن على الطارئين عليه من الناس أيضاً وعلى دوابه وطيره وهوامه وكل شيء فيه :

قال :[١٠١] « وإنما خصوا (الترك) بالحنين من بين جميع العجم لأن في تركيبهم وأخلاط طبائعهم من تركيب بلدهم وتربتهم ومشاكلة مياههم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومناسبة إخوانهم ماليس مع أحد سواهم .. وأنت لاتغلط في التركي ولا تحتاج فيه إلى قيافة ولا إلى فراسة ولا إلى مساءلة . ونساؤهم كرجالهم ، ودوابهم تركية مثلهم .

« وهكذا طبع الله تلك البلدة وقسم لتلك التربة . وجميع دور الدنيا و (من ؟) نشوها إلى منتهى قواها ومدة أجلها جارية على عللها وعلى مقدار أسبابها وعلى قدر ماخصها الله تعالى به وأبانها وجعل فيها ...

« وكذلك ترى أبناء العرب والأعراب الذين نزلوا خراسان لاتفصل بين من نزل أبوه بفرغانة وبين أهل فرغانة ، ولاترى بينهم فرقاً في السبال الصهب والجلود القشرة والأقفاء العظيمة والأكسية الفرغانية . وكذلك جميع تلك الأرباع لاتفصل بين أبناء النازلة وبين أبناء النابتة » .

وقال[١٠٢] « إن في العرب قبائل سوداً كبني سليم بن منصور . وكل من نزل الحرة من غير بني سليم كلهم سود . وإنهم ليتخذون المماليك للرعي والسقاء والمهنة والخدمة من الأشبانيين ومن الروم نسائهم ، فما يتوالدون ثلاثة أبطن حتى تنقلهم الحرة إلى ألوان بني سليم . ولقد بلغ من أمر تلك الحرة أن ظباءها ونعامها وهوامها وذبابها وثعالبها وشاءها وحميرها وخيلها وطيرها كلها سود .. »

وتحدث الجاحظ في مواضع مختلفة من كتبه ورسائله عن الأمصار والبلدان : عن فساد هواء بعضها ومائه وتربته حتى ليكاد يخرج بإنسانه وحيوانه عن طبيعة نوعه وهيأته[١٠٣] . وأن بعض البلدان ذوات روائح طيبة ويزداد الطيب فيها طيباً ، وبعضها ذوات روائح فاسدة والطيب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

سريعاً ما يفسد فيها[١٠٤] . وأن بعض المدن تزيد في قوة الإنسان ومنّته وأخرى تنقص من عقله وفهمه[١٠٥] . وينقل عن أبقراط قوله[١٠٦] : « يداوى كل عليل بعقاقير أرضه فإن الطبيعة تتطلع لهوائها وتنزع إلى غذائها » . ويأتي بطرائف وغرائب من مثل[١٠٧] : « ألا ترى أنهم يزعمون أن من دخل أرض تُبَّت لم يزل ضاحكاً مسروراً من غير عجب حتى يخرج منها » .

والخلاصة إن الجاحظ يجعل من العامل الجغرافي ـ كما يقال اليوم ـ العامل الأول والأساسي في نشوء الأمم وإعطائها خصائصها الجسدية والعقلية ، فالوطن يصهر الشعوب المختلفة الأصول ثم يسبكها أمة واحدة ، كما فعلت الجزيرة العربية بشعبي قحطان وعدنان :[١٠٨] « العرب كلهم شيء واحد ، لأن الدار والجزيرة واحدة ، والأخلاق والشيم واحدة ، واللغة واحدة ، وبينهم من التصاهر والتشابك ... **ثم المناسبة التي بنيت على غريزة التربة وطباع الهواء والماء** ، فهم في ذلك بذلك شيء واحد ... »

الشعوب والأمم

الأمم عند الجاحظ أربع : العرب والفرس واليونان والهند ، هذا حين ينظر إلى الحضارة والحكمة والعلم والأدب والبلاغة . ولكنه يقف طويلاً عند الترك وأهل الصين والسودان ، ويمر على ذكر القبط والحبش وأهل الزابج والصقالبة والأشبانيين والفرنجة . ويخص كل أمة بخصائص ويصفها بأوصاف :[١٠٩] فللعرب الشعر والخطابة والبلاغة ، ولليونان الحكمة وصناعة المنطق والعلم ، وللفرس الملك والإدارة ، وللهند الحكمة والحساب والفلك ، والترك لهم الحرب ، والصين لهم الصناعة الخ ..

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ويفصل القول في صفة طبائع هذه الأمم واختصاصاتها :

فيقول مثلاً في اليونانيين وكثيراً ما يقرنهم بالصينيين من حيث هما نموذجان لأمتين إحداهما نظرية والأخرى عملية :[١١٠] « ألا ترى أن اليونانيين الذين نظروا في العلل لم يكونوا تجاراً ولا صناعاً بأكفهم ولا أصحاب زرع ولا فلاحة وبناء وغرس ، ولا أصحاب جمع ومنع وحرص وكدّ . وكانت الملوك تفرغهم وتجري عليهم كفايتهم . فنظروا حين نظروا بأنفس مجتمعة وقوة وافرة وأذهان فارغة ، حتى استخرجوا الآلات والأدوات ...

« وكانوا أصحاب حكمة ولم يكونوا فعلة يصورون الآلة ويخرطون الأداة ويصوغون المثل ولا يحسنون العمل بها ، ويشيرون إليها ولا يمسونها ويرغبون في العلم ويرغبون عن العمل .

« فأما سكان الصين فهم أصحاب السبك والصياغة والإفراغ والإذابة والأصباغ العجيبة وأصحاب الخرط والنحت والتصاوير والنسخ والخط ورفق الكف في كل شيء يتولونه ويعانونه وإن اختلف جوهره وتباينت صنعته وتفاوت ثمنه .

« ... لأن أولئك حكماء وهؤلاء فعلة » .

ولم يقف الجاحظ عند الأمم الكبرى وحدها ولكنه ذكر الجماعات الإنسانية الأضيق نطاقاً أيضاً :

فذكر مثلاً الشام والعراق والحجاز فنقل قول عبد الملك بن مروان في صفة روح بن زنباع[١١١] : « جمع أبو زرعة طاعة أهل الشام ودهاء أهل العراق وفقه أهل الحجاز » . ووصف الأهواز وأهلها[١١٢] ، وأنباط

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بيسان[١١٣] ، وبخل أهل خراسان ومرو منها خاصة[١١٤] . وأقام منافرة بين البصرة والكوفة[١١٥] الخ ..

وكتب في شعبي العرب الكبيرين : قحطان وعدنان[١١٦] ، ووصف قريشاً[١١٧] ، وبين صفات بطونها[١١٨] ، وألف في « فرق ما بين هاشم وعبد شمس »[١١٩] الخ ...

واستقى أبو عثمان معلوماته عن البلدان والشعوب من الكتب التي امتلأت بها أسواق الوراقين في البصرة وبغداد ، ومن المساجد والأسواق والمجتمعات العامة في هاتين المدينتين اللتين كانتا محشراً للناس من كل لون وكل أمة ، ولا سيما من مصدر هام جداً هو الرقيق الذي كان يجلب إليهما من أقصى المعمورة جنوباً من الزنج إلى أقصاها شمالاً من الصقالبة ومن غاية شرقها من الترك والسند إلى نهاية غربها من الفرنجة والإشبانيين ... فوصف لنا تصرف أنواع الرقيق وما يحسنون من المهن وقدراتهم على مواجهة الظروف الجديدة عليهم . وأكتفي بالنص التالي[١٢٠] :

« .. وأصحاب الإبل يرغبون في اتخاذ النوبة والبربر والروم للإبل ، يرون أنهم يصلحون على معايشها وتصلح على قيامهم عليها ...

« فأما السند فإن السندي صاحب الخُرْبَة إذا صار إلى البدو وهو طفل خرج أفصح من أبي مهدية ومن أبي مطرف الغنوي . ولهم طبيعة في الصرف لا ترى بالبصرة صيرفياً إلا وصاحب كيسه سندي . واشترى محمد بن السكن أبا روح [فرجاً] السندي فكسب له المال العظيم . فقل صيدلاني عندنا إلا وله غلام سندي . فبلغوا أيضاً في البربهار والمعرفة بالعقاقير وفي صحة المعاملة واجتلاب الحرفاء مبلغاً حسناً . وللسند في الطبخ طبيعة ما أكثر ما ينجبون فيه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

« وقد كان يحيى [بن خالد] أراد أن يحول إجراء الخيل عن صبيان الحبشان والنوبة إلى صبيان السند فلم يفلحوا فيه . [وأراد تحويل رجال السند إلى موضع الفراشين من الروم فلم يفلحوا فيه] . وفي السند حلوق جياد وكذلك بنات السند » .

الأمزجة والطباع

قال الجاحظ[١٢١] : « أو ما علمت أن الإنسان ... إنما سموه العالم الصغير سليل العالم الكبير لما وجدوا فيه من جميع أشكال ما في العالم الكبير . ووجدنا (وجدوا) له الحواس الخمس ووجدوا فيه المحسوسات الخمس . ووجدوه يأكل اللحم والحب ، ويجمع بين ما تقتاته البهيمة والسبع . ووجدوا فيه صولة الجمل ووثوب الأسد وغدر الذئب وروغان الثعلب وجبن الصِّفْرِد☆ وجمع الذرّة وصنعة السُّرفة وجود الديك وإلف الكلب واهتداء الحمام . وربما وجدوا فيه مما في البهائم والسباع خلقين أو ثلاثة ...

« ... وفيه الصفراء وهي من نتاج النار وفيه السوداء وهي من نتاج الأرض وفيه الدم وهو من نتاج الهواء وفيه البلغم وهو من نتاج الماء ...

« فجعلوه العالم الصغير إذ كان فيه جميع أجزائه وأخلاطه وطبائعه : ألا ترى أن فيه طبائع الغضب والرضا وآلة اليقين والشك .. (ثم يمضي فيسرد عدداً كبيراً من الأضداد من الصفات العقلية والخلقية) .. »

☆ الصفرد : طائر جبان ـ السرفة : دويبة تتخذ بيتاً من دقاق العيدان فتدخله وتموت (القاموس)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

هذا نص هام في أوجه مما نحن فيه من الفراسة ، وبخاصة في مسألة الأمزجة والطباع . فأبو عثمان ، كما هو واضح ، يقول بالطبائع الأربع التي يردها إلى الأخلاط الأربعة التي يرجعها إلى الأركان الأربعة : النار والأرض والهواء والماء . إنه لم يأت ، فيما بين الأيدي من كتاباته ، بنظرية مكتملة في الأمزجة وأنواعها والسمات الجسدية والصفات الأخلاقية والعقلية لكل مزاج منها ، ولكننا نعثر على نصوص تدل على أنه كان على علم بهذه النظرية المعروفة لدى أطباء زمانه ، مثل هذا النص :[١٢٢] « .. إن داء الحزن وإن كان قاتلاً فإنه داء مماطل وسقمه سقم مطاول ومعه من التهل بقدر قسطه من أناة المرة السوداء . وداء الغيظ سفيه طياش وعجول فحاش يُعجل عن التوبة ويقطع دون الوصية ومعه من الخرق بقدر قسطه من التهاب المرة الحمراء .. »

ولكل إنسان ، برأي الجاحظ ، طبعه الخاص ، وهو على هدى إذا أخذ في اتجاه طبعه وفي نجح وروح ، ويتخبط ويضل إذا خالفه ، والمرء لا يأبق من طبعه :

قال[١٢٣] : « قد زعم أناس أن كل إنسان فيه آلة لمرفق من المرافق وأداة لمنفعة من المنافع ، ولابد لتلك الطبيعة من حركة وإن أبطأت ولابد لذلك الكامن من ظهور ، فإن أمكنه ذلك بعثه وإلا سرى إليه كما يسري السم في البدن ... ولذلك صار طلب الحساب أخف على بعضهم وطلب الطب أحب إلى بعضهم وكذلك النزاع إلى الهندسة وشغف أهل النجوم بالنجوم . وكذلك أيضاً ربما تحرك له بعد الكَبْرة وصرف رغبته إليه بعد الكهولة على قدر قوة العرق في بدنه وعلى قدر الشواغل له وما يعترض عليه .. وتجد حرصهم على قدر العلل الباطنة المحركة لهم ، ثم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لا تدري كيف عرض لهذا هذا السبب دون الآخر إلا بجملة من القول ، ولا تجد المختار لبعض هذه الصناعات على بعض يعلم لم اختار ذلك في جملة ولا تفسير ... وليس العجب من رجل في طباعه سبب يصل بينه وبين بعض الأمور ويحركه في بعض الجهات ، ولكن العجب ممن يموت مغنياً وهو لا طبع له في معرفة الوزن وليس له جرم* حسن فيكون إن فاته أن يكون معلماً ومغني خاصة أن يكون مطرباً ومغني عامة .. »

وفي اختلاف طبائع الأفراد ، كما في اختلاف طبائع الأمم ، حكمة ومصلحة للعالمين :

قال أبو عثمان[١٢٤] : « اعلم أن المصلحة في أمر ابتداء الدنيا إلى انقضاء مدتها امتزاج الخير بالشر والضار بالنافع والمكروه بالسار والضعة بالرفعة والكثرة بالقلة . ولو كان الشر صرفاً هلك الخلق ، أو كان الخير محضاً سقطت المحنة وتقطعت أسباب الفكرة ، ومع عدم الفكرة يكون عدم الحكمة ، ومتى ذهب التخيير ذهب التميز ، ولم يكن للعالم تثبت وتوقف وتعلم ، ولم يكن علم ولا يعرف باب التبيّن ... وعادت الحال إلى حال السبع والبهيمة وإلى حال الغباوة والبلادة وإلى حال النجوم في السخرة ...

« ولو استوت الأمور بطل التميز ، وإذا لم تكن كلفة لم تكن مثوبة ، ولو كان ذلك لبطلت ثمرة التوكل على الله تعالى .. »

ويلوح من هذا النص أيضاً أن أبا عثمان لا يجعل من الطبائع قدراً مقدوراً بل إن للإنسان حرية بها يحصل التكليف ويكون الجزاء - وإلا لم

---

* الجرم : الصوت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

يكن معتزلياً . ويتضح ذلك أكثر في قوله[١٢٥] : « والعادة القائمة والنسق الذي لا يتخطى ولا يغادر والنظام الذي لا ينقطع ولا يختلط في ذوي التكين والاستطاعة وفي ذوي العقول والمعرفة ، أن أبدانهم متى أحست بأصناف المكروه والمحبوب ، وازنوا وقابلوا وعايروا وميزوا بين أتم الخيرين وأنقص الشرين ... واختاروا بعد ذلك أتم الخيرين وأنقص الشرين ، فأما الشر صرفاً والخير محضاً فإنهم لا يتوقفون عندهما ... وإنما ينظرون في الممزوج .. »

والعقل الذي هو أداة التميز والاختيار لا يقوم العقل الغريزي منه وحده لشهوات الإنسان وطبائعه بل لابد من شد أزره بالنظر والعلم والتجربة وهو العقل المكتسب :

قال :[١٢٦] « .. ولن تفي قوة غريزة العقل بجميع قوى طبائعه وشهواته حتى يقيم ما اعوج منها ويسكن ما تحرك ، دون النظر الطويل الذي يشدها والبحث الشديد الذي يشحذها والتجارب التي تحنكها .. » . وقال أيضاً :[١٢٧] « وقد أجمعت الحكماء أن العقل المطبوع والكرم الغريزي لا يبلغان غاية الكمال إلا بمعاونة العقل المكتسب ، ومثلوا ذلك بالنار والحطب والمصباح والدهن ، وذلك أن العقل الغريزي آلة والمكتسب مادة .. »

ويلحق بمسألة الطباع مسألة « إنضاج الأرحام » . نقل الجاحظ عن أبي إسحاق النظام قوله : « إن الأمة التي لم تنضجها الأرحام ، ويخالفون في ألوان أبدانهم وأحداق عيونهم وألوان شعورهم سبيل الاعتدال ، لا تكون عقولهم وقرائحهم إلا على حسب ذلك ، وعلى حسب ذلك تكون أخلاقهم وآدابهم وشمائلهم وتصرف هممهم في لؤمهم وكرمهم لاختلاف السبك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وطبقات الطبخ وتفاوت ما بين الفطير والخمير والمقصر والمجاوز ، وموضع العقل عضو من الأعضاء وجزء من الأجزاء ، كالتفاوت الذي بين الصقالبة والزنوج » .

ويلحق بها كذلك ماتزعمه العرب للإسقاط والإتآم واليتن والغيلة من نقص في تكوين الطفل وقوته ، وما للحمل في أول الهلال أو المحاق من تأثير على بنية الطفل . قال أبو عثمان :[١٢٩] « وتزعم الأعراب والعرب أن النطفة إذا وقعت في الرحم في أول الهلال خرج الولد قوياً ضخماً وإذا كان في المحاق خرج ضئيلاً شختاً ، وأنشد قول الشاعر :

لقحت في الهلال عن قُبُل الطهر وقد لاح للصباح بشير
ثم نُمّى ولم يُراضع فَلُوّاً☆ ورضاع المُجحّ عيب كبير » .

النقص والتعويض

واهتم الجاحظ بأصحاب العاهات والزمنى وذوي النقص والدمامة ، وأي شيء لم يثر اهتمام أبي عثمان ويبعثه على التنقير والبحث ؟ ، فكتب كتابه « البرصان والعرجان والعميان والحولان » والعور والحدب ومن سقي بطنه والجذم والعسر والقرعان والصلعان والمفاليج ومن أصيب باللقوة والشط والسنوط والفقم والثرم والوقص والزرق والقصار والمهزولون الخ ..

وما اجتلب ذكر هؤلاء الزمنى ، كما يقول في مقدمة كتابه ، إلا :[١٣٠] « ليجعل ذاك سبباً إلى ... وإلى أن جماعة فيهم كانوا يبلغون مع العَرَج مالا يبلغه عامة الأصحّاء ومع العمى يدركون مالا يدركه أكثر البصراء ؛

☆ فلا الصبي فلواً عزله عن الرضاع أو فطمه ـ أجحّت المرأة حملت فأقربت وعظم بطنها فهي مُجحّ (القاموس)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولما جاء أيضاً في ذلك من الأشعار الصحيحة ومن الأمثال المضروبة ...، وكيف جزع من جزع وصبر من صبر، وماروا في ذلك من الأخبار النافعة والأحاديث السائرة ...، وكيف تبين ذلك النقص وظهر ذلك الخلل على بعض ولم يتبين على بعض » . فقد كان له إذن هدف أدبي وهدف أخلاقي ، وهذا الهدف الثاني هو الذي يهمنا في علم الفراسة لأنه هو الذي يكشف عن موقف هؤلاء المنقوصين من نقصهم وعن درجة تغلبهم عليه أو سقوطهم تحت ثقله .

وفي قليل من الأخبار والأقوال والأشعار أنقلها عنه كفاية للتمثيل :

قال :[١٣١] « وخطب الطائي الأعرج (عدي بن عمرو) امرأة فشكت عرجه إلى جاراتها فأنشأ يقول :

تشكّى إلى جاراتها وتعيبني ... فقالت معاذ الله أنكح ذا الرِّجْلِ
فكم من صحيح لو يوازن بيننا ... لكنا سواء أو لمال به حملي »

وقال :[١٣٢] : « وكان أوفى (بن مؤالة) على شرفه وسؤدده قصيراً نحيفاً ، وهو الذي يقول :

إذا كنت قصداً في الرجال فإنني ... إذا حل أمر ساحتي لجسيم »

وقال :[١٣٣] « وأما من فخر بالعمى فمنهم بشار بن برد ... وهو الذي يقول :

إذا ولد المولود أعمى وجدته ... وجدّك أهدى من بصير وأحولا
عميت جنيناً والذكاء من العمى ... فجئت عجيب الظن للعلم معقلا
وغاض ضياء العين للعلم رافد ... وقلب إذا ما ضيع الناس حصّلا
وشعر كنور الروض لاءمت بينه ... بقول إذا ما أحزن الشعر أسهلا »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي هذه المواقف اعتدال وإجمال وفخر مقتصد ، ولكنها قد لا تكون دائماً كذلك فتتجاوز القصد إلى الغلو والمبالغة فتثير الابتسام أو العجب أو السخرية أو الإنكار . ولا نكاد نقع في كتابات أبي عثمان على ما قد تخلفه العاهة في صاحب العاهة من شذوذ أو اندفاع إلى الشر والأذى والتعذيب الذي قد يتجه إلى الشخص ذاته :

قال :[١٣٤] « ويكون الأعرابي شختاً مهزولاً ومقرقماً ضئيلاً فيجعل ذلك دليلاً على كرم أعراقه وشرف ولادته . قال الأصمعي : قلت لغلام أعرابي : مالي أراك ضعيفاً نحيفاً وصغير الحجم قليلاً مهزولاً ؟ قال : قرقمني العز .. وأنشدوا :

قرقمني العـــــــــز وأضـــــــــواني الكرم »

وقال :[١٣٥] « قالوا : ولما شاع هجاء الحكم بن عبدل الأسدي لمحمد بن حسان بن سعد وغيره من الولاة والوجوه هابه أهل الكوفة ... وكان الحكم أعرج لا تفارقه عصاه . فترك الوقوف بأبوابهم ، وصار يكتب على عصاه حاجته ويبعث بها مع رسوله ، فلا يحبس له رسول ولا يؤخر عنه لقراءة الكتاب ، ثم تأتيه الحاجة على أكثر مما قدر وأوفر مما أمل . فقال يحيى بن نوفل :

عصـــــا حكم في الـــــدار أول داخـــل

ونحن عن الأبـــــــــواب نقصى ونحجب »

وقال :[١٣٦] « قال لي ثمامة (بن أشرس) : رأيت جماعة نساء لم أر قط أحسن ولا أملح شكلاً ولا أظهر دلاً مع لباس وشارة ، وإذا فتيان من فتيان الغزل والجمال واليسار قد عارضوهن ، والتفتّ فإذا أنا بالمشمرخ الأحدب ، وإذا هو يتقدمهن مرة ويزاحمهن مرة ، وإذا هو في ذلك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

يختال في مشيته ويخطر بكميه ، فأقبلت عليه واحدة منهن فقالت : عذرت هؤلاء الذين يُدلّون بالشباب والجمال واليسار فقد أطمعهم ذلك فينا ، أنت بأي شيء تدل ؟ قال : بالبراعة والظرف ، قال : فضحكن منه وصار أكثر كلامهن معه دون جميع الناس وغلب عليهن وشغلهن » .

وقد مر الجاحظ على ذكر المشعّبين وما يصنعون صنعاً من عاهات في الأطفال المعَدّين للكدية . ومن المؤسف أنه لم يذكر شيئاً عما تتركه هذه العاهات في نفوس هؤلاء الأطفال حين يكبرون وفي أخلاقهم وسلوكهم ، واكتفى بالحكم عن المشعبين وعلى آباء هؤلاء الأطفال الذين[١٣٧] « لا أدري أيهم أعظم كفراً وأقسى قلباً » .

ولكنه أطال الوقوف على تشويه آخر مصنوع هو الخصاء ، ووصف آثاره الجسدية والنفسية والخلقية . وهذه نصوص مختارة في هذا الموضوع ذات قيمة في أوجه مختلفة من علم الفراسة :

قال الجاحظ[١٣٨] « ... فإن الخصي يكون أنتن وصنانه أحدّ ويعم أيضاً خبث العرق سائر جسده حتى لتوجد لأجسادهم رائحة لا تكون لغيرهم .

« ... والإنسان إذا خصيَ طال عظمه وعرض ...

« وتعرض للخصيان أيضاً طول أقدام واعوجاج في أصابع اليد والتواء في أصابع الرجل وذلك في أول طعنهم في السن . وتعرض لهم سرعة التغير والتبدل وانقلاب عن حد الرطوبة والبضاضة وملاسة الجلد وصفاء اللون ورقته وكثرة الماء وبريقه إلى التكرش والكمود وإلى التقبض والتخدد ... »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقال : « ... وليس بعد المنكح باب له موقع كموقع المطعم ، فاجتمعت تلك القوى التي كانت للمنكح ... إلى القوة التي عنده للمطعم ... ولذلك صار الخصي آكل من أخيه لأمه وأبيه ...

« ودوام الأكل في الإناث أعم منه في الذكور ... وما أشك أن الرجل يأكل في المجلس الواحد ما لا تأكل المرأة ، ولكنها تستوفي ذلك المقدار وتربي عليه مقطّعاً غير منظوم ... وهن يناسبن الصبيان في هذا الوجه ... »

وقال : « ويعرض له ... تغير الصوت حتى لا يخفى على من سمعه من غير أن يرى صاحبه أنه خصي ..

« ومتى خُصي قبل الإنبات لم يُنْبِت ، وإذا خصي بعد استحكام نبات الشعر في مواضعه تساقط كله إلا شعر العانة ... ولا يعرض ذلك لشعر الرأس ، فإن شعر الرأس والحاجبين وأشفار العينين يكون مع الولادة وإنما يعرض لما يتولد من فضول البدن ... وهذه الخصال من أماكن شعر النساء ... ألا ترى أن المرأة لا تصلع فناسبها الخصي من هذا الوجه ... »

وقال : « والخصاء ينقص من شدة الأسر وينقض مبرم القوى ويرخي معاقد العصب ويقرب من الهرم والبلى ...

« والخِصيان مع جودة آلاتهم ووفارة طبْاعهم في معرفة أبواب الخدمة وفي استواء حالهم في باب المعاطاة لم تر أحداً منهم قط نفذ في صناعة تنسب إلى بعض المشقة وتضاف إلى شيء من الحكمة مما يعرف ببعد الروية والغوص بإدامة الفكرة ... »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال : « ويعرض للخصي العبث واللعب بالطير وما أشبه ذلك من أخلاق النساء وهو من أخلاق الصبيان أيضاً

« ويعرض له الشره عند الطعام والبخل عليه والشح العام في كل شيء وذلك من أخلاق الصبيان ثم النساء ...

« ويعرض للخصي سرعة الغضب والرضا وذلك من أخلاق الصبيان والنساء . ويعرض له حب النميمة وضيق الصدر بما أودع من السر وذلك من أخلاق الصبيان والنساء . ويعرض له ... البصر بالرفع والوضع والكنس والرش والطرح والبسط والصبر على الخدمة وذلك يعرض للنساء .

« ويعرض له الصبر على الركوب والقوة على كثرة الركض حتى يجاوز في ذلك رجال الأتراك وفرسان الخوارج ..

« ويعرض له حب الرمي بالنشاب ... ويعرض له حب أن تملكه الملوك على ألا تقيم له إلا القوت ويكون ذلك أحب إليه من أن تملكه السوقة وإن ألحقته بعيش الملوك ...

« ويزعم كثير من الشيوخ المعمرين وأهل التجربة المميزين أنهم اختبروا أعمار ضروب الناس فوجدوا طول الأعمار في الخصيان أعم منه في مثل أعدادهم من جميع أجناس الرجال .. »

وقال : « ولفرط إرادتهم النساء وبالحسرة التي نالتهم ... أبغضوا الفحول بأشد من تباغض الأعداء فيما بينهم ... وبغض الخصي للفحل من شكل بغض الحاسد لذي النعمة وليس من شكل ما يولده التنافس وتلحقه الجنايات » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقال : « ولرجال كل فن وضرب من الناس ضرب من النسك ، إذ لا بد لأحدهم من النزوع ومن ترك طريقته الأولى : فنسك الخصي غزو الروم ، فظن عند ذلك أهل الفراسة أن سبب ذلك إنما كان لأن الروم لما كانوا هم الذين خصوهم كانوا مغتاظين عليهم ... ونسك المغني أن يكثر التسبيح وهو يشرب النبيذ والصلاة على النبي ﷺ والصلاة في جماعة ... ونسك المتكلم التسرع إلى إكفار أهل المعاصي وأن يرمي الناس بالجبر أو بالتعطيل أو بالزندقة يريد أن يوهم أموراً : منها أن ذلك ليس إلا من تعظيمه للدين ... ومنها أن يقال لو كان نطفاً أو مرتاباً أو مجتنحاً على بلية لما رمى الناس ولرضي منهم بالسلامة .. ولم نجد في المتكلمين أنطف ولا أكثر عيوباً ممن يرمي خصمه بالكفر » .

و « نص النسك » هذا ينقلنا من النقص الجسدي وما يولد من اتجاهات في التفكير والأخلاق إلى النقص النفسي أو النقص الاجتماعي ، وهو النقص الذي يجده المرء في باطنه ، وما يكون انعكاسه على النفس والسلوك . فالمغني مثلاً الذي طالما لغا لسانه بما يعده هو والمجتمع معصية كأنه حين نسك يريد أن يطهر هذا اللسان بذكر الله والصلاة على رسوله . والمتكلم الذي يضطرب الشك في أعماق نفسه فكأنه يريد أن يسكت هذا الشك في نفسه أو يقنع نفسه والآخرين بامحاء هذه الشكوك فيسارع إلى إلقاء مافي نفسه على الآخرين .

ونص الجاحظ يوحي بأن هؤلاء النساك على علم بما يعتمل في أعماقهم أي إنهم إذن مراؤون ، ولكن هذا العلم بأعماق النفس قد لايكون وهذا مايدعوه الصوفية : الرياء الخفي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وفي كتابات الجاحظ نصوص كثيرة في المسالك التي يسلكها الإنسان وتكون تعبيراً إيجابياً أو سلبياً عن نقص معنوي يشعر به أو قد شعر به ثم غاب عنه ، منها :

قوله[١٣٩] : « وأنا أحذرك من اللجاج .. فإن اللجاج لايكون إلا من خلل القوة وإلا من نقص في التمكين ، واللجوج في معنى المغلوب .. ولا يكون إلا والعقدة منحلة والنفس منقوصة .. »

وقوله[١٤٠] : « والنبيل لايتنبَّل كما أن الفصيح لايتفصح ، لأن النبيل يكفيه نبله عن التنبل والفصيح تغنيه فصاحته عن التفصح . ولم يتزيد أحد قط إلا لنقص يجده في نفسه ولا تطاول متطاول إلا لوهن قد أحس به في قوته » .

وقوله[١٤١] : « والكبر في الأجناس الذليلة من الناس أرسخ وأعم ، ولكن الذلة والقلة مانعتان من ظهور كبرهم ، فصار لايعرف ذلك إلا أهل المعرفة ...

« والجملة أن كل من قدر من السِّفلة والوضعاء والمحقّرين أدنى قدرة ظهر من كبره على من تحت قدرته ... مالا خفاء به ...

« وعلى هذا الحساب من هذه الجهة صار المملوك أسوأ ملكة من الحر .

« وشيء قد قتلته علماً وهو أني لم أر ذا كبر قط على من دونه إلا وهو يذل لمن فوقه بمقدار ذلك ووزنه » .

وما نقله من قول عمر[١٤٢] : « ما وجد أحد في نفسه كبراً إلا من مهانة يجدها في نفسه » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن مقالة معاوية لابن الأشعث[١٤٣] : « وأذن معاوية للأحنف بن قيس ، وقد وافى معه محمد بن الأشعث ، ثم أذن له فقدمه عليه ، فوجد من ذلك محمد بن الأشعث ، ثم أذن له فدخل ، فجلس بين معاوية والأحنف . فقال له معاوية : إنا والله ما أذنا له قبلك إلا ليجلس إلينا دونك ، وما رأيت أحداً يرفع نفسه فوق قدرها إلا من ذلة يجدها ، وقد فعلت فعل من أحس من نفسه ذلاً وضعة .. »

فروق مابين الجنسين

للجاحظ في موضوع المرأة ثلاثة كتب : كتاب الجواري والغلمان[١٤٤] ـ وكتاب القيان[١٤٥] ـ وكتاب النساء . أما الأول والثاني فيصفان ظواهر ويعالجان مشكلات في المجتمع الذي عاش فيه الجاحظ مثل الشذوذ الجنسي والمتاجرة بغناء القيان وجمالهن وإغرائهن ورقابهن . وأما الثالث فالذي بقي منه حطام كتاب[١٤٦] : شيء عن الحب والعشق وشيء عن جمال المرأة وأن الرجل أدرى بجمال المرأة من المرأة بالمرأة ، بل إن فيه شيئاً عن ضرورة وجود السلطان لإصلاح العامة ، ثم لانعثر بين هذا الحطام على شيء في الموضوع الأصلي للكتاب الذي حدده الجاحظ نفسه في الكتاب ذاته حين قال[١٤٧] : « كنا نحب أن يخرج هذا الكتاب تاماً ويكون للأشكال الداخلة فيه جامعاً ، وهو القول فيما للذكور والإناث في عامة أصناف الحيوان ... فمنع من ذلك فرط الكبرة وإفراط العلة وضعف المنة وانحلال القوة .

« فلما وافق هذا الكتاب منا هذه الحال .. اجتنبنا (أحببنا) أن نقصد من جميع ذلك إلى **فرق مابين الرجل والمرأة** ... »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ـ أقول : لانعثر بين الحطام على شيء من « فرق مابين الرجل والمرأة » إلا أن يكون هذا القول العام[١٤٨] : « ونحن وإن رأينا أن فضل الرجل على المرأة ، في جملة القول في الرجال والنساء ، أكثر وأظهر ، فليس ينبغي لنا أن نقصر في حقوق المرأة . وليس ينبغي لمن عظم حقوق الآباء أن يصغر حقوق الأمهات وكذلك الإخوة والأخوات والبنون والبنات . وأنا وإن كنت أرى أن حق هذا أعظم فإن هذه أرحم » .

ولذلك ماكان من إطالة مانقلت من نص « مايعرض للخصيان » ، فهو من بين مابقي من كتابات الجاحظ أوسع نص حديثاً في صفة النساء وأخلاقهن ومداركهن . ففيه يذكر أبو عثمان شيئاً عن منابت شعر النساء وامتناعهن على الصلع ، وما يراه في شرههن عند الطعام وبخلهن عليه وبخلهن عامة وحبهن للغيبة والنميمة وضيق صدورهن بالسر وسرعة غضبهن ورضاهن وبصرهن بالخدمة وأعمال البيت عامة وصبرهن عليها ...

فروق مابين الأسنان

وداع آخر هو مافي هذا النص من مقارنة بين هذه الأخلاق وأخلاق الصبيان ، إذ النصوص التي تعرض للفروق بين الأسنان : من الطفولة والشباب إلى الكهولة والشيخوخة نادرة فيما بين الأيدي من كتابات الجاحظ على الرغم مما أبداه من اهتمام بهذا الموضوع حين قال[١٤٩] : « فمن الأبواب الكبار (في الحيوان) القول في فصل مابين الذكورة والإناث وفي فصل مابين الرجل والمرأة خاصة .

« وقد يدخل في القول في الإنسان ذكر اختلاف الناس في الأعمار » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فليس إلا أقوال في الشيخوخة ، وما أكثر مافي الشعر العربي من الشكوى من الشيخوخة ، ولكن بعض هذه الأقوال يدقق في وصف بعض آثار الشيخوخة ويحاول تبيين أسبابها مثل[١٥٠] :

« قال أبو إسحاق : وقد غلط أيضاً كثير منهم فزعموا أن طباع الشيخ البلغم ، ولو كان طباعه البلغم ، والبلغم لين رطب أبيض ، لما ازداد عظمه نحولاً ولونه سواداً وجلده تقبضاً .

« وقال النمر بن تولب :

كأن محطاً* في يدي حارثية صناع علت مني به الجلد من عل

وقال الراجز :

وكثرت فواضل الإهاب

« قال : ولكنهم لما رأوا بدنه يتغضن ويظهر من ذلك التغضن رطوبات بدنية كالبلغم في الفم والمخاط السائل في الأنف والرمص والدمع في العين ، ظنوا أن ذلك لكثرة مافيه من أجزاء الرطوبات ، وأرادوا أن يقسموا الصبا والشباب والكهولة والشيخوخة على أربعة أقسام كما تهيأ لهم ذلك في غير باب .

« وإذا ظهرت تلك الرطوبات فإنما هي لنفي اليبس لها ولعصره قوى البدن . ولو كان الذي ذكروا لكان دمع الصبا أكثر ومخاطه أغزر ورطوباته أظهر . وفي البقول والرياحين والأغصان والأشجار ذلك إذ كانت في الحداثة أرطب وعلى مرور السنين والأيام أيبس » .

---

* المحط : الحديدة تكون مع الخرازين ينقشون بها الأديم (عن حاشية المحقق)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

مشابهة الإنسان للحيوان

قال الجاحظ في نص « العالم الصغير »[١٥١] : « أو ما علمت أن الإنسان .. إنما سموه العالم الصغير ... ووجدوا فيه صولة الجمل ووثوب الأسد ... وربما وجدوا فيه مما في البهائم والسباع خلقين أو ثلاثة ، ولا يبلغ أن يكون جملاً بأن يكون فيه اهتداؤه وغيرته وصولته وحقده وصبره على حمل الثقل ، ولا يلزم شبه الذئب بقدر ما يتهيأ فيه من مثل غدره ومكره واسترواحه وتوحشه وشدة نكره » .

فالإنسان برأي الجاحظ فيه من كل حيوان ، وقد تغلب عليه الصفة أو الصفات من حيوان معين ولكنه لا يبلغ فيها مبلغ هذا الحيوان .

وقد حددت الأمثال السائرة ماستقر في أذهان الناس لكل حيوان من صفة غالبة . فإذا أطلق المثل على إنسان تحددت الصفة المشتركة بينه وبين هذا النوع من الحيوان :

قال[١٥٢] : « يقال : أجرأ من الليث ، وأجبن من الصفرد ، وأسخى من لافظة ، وأصبر على الهون من كلب ، وأحذر من عقعق ، وأزهى من غراب ، وأصنع من سرفة ، وأظلم من حية ، واعذر من الذئب ، وأخبث من ذئب خمر ، وأشد عداوة من عقرب ، وأروغ من ثعلب ، وأحمق من حبارى ، وأهدى من قطاة ، وأكذب من فاختة ، وألأم من كلب على جيفة ، وأجمع من ذرة ، وأضل من حمار أهلي ، وأعق من ضب ، وأبر من هرة ، وأنفر من الظليم ، وأضل من وَرَل☆ ، وأضل من ضب ، وأضل من الحية .. »

☆ الورل : دابة كالضب (القاموس)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بل إن القبائل والشعوب قد تغلب عليها صفات نوع معين من الحيوان :

قال[١٥٣] : « وبنو أسد أسد الغياض وأشبه شيء بالأسد ، فلذلك تشتهي من اللحمان أشهاها إلى الأسد . والدليل على أنهم أسد وفي طباع الأسد أنك لو أحصيت جميع القتلى من سادات العرب ومن فرسانهم لوجدت شطرها أو قريباً من شطرها لبني أسد » .

وقال[١٥٤] : « الغراب من لئام الطير .. ومن ذوات البراثن الضعيفة .. ومن ذوات المناقير .. وهو مع أنه قوي النظر لايتعاطى الصيد .. وهو فسل إن أصاب جيفة نال منها وإلا مات هزالا ...

« وهو مع ذلك يكون حالك السواد شديد الاحتراق . ويكون مثله من الناس الزنج فإنهم شرار الناس وأرداً الخلق تركيباً ... »

بل إن بعض الأمم قد ارتبطت بأنواع معينة من الحيوان حتى أصبحت رموزاً لها ، كارتباط الفرس بالديك وارتباط العرب بالكلب . وما المفاخرة التي أقامها الجاحظ بين صاحب الديك وصاحب الكلب إلا رمز لما كان يثور من منافرات بين العرب والشعوبية . وترجع هذه الارتباطات إلى عقائد دينية أو ضرورات معاشية : فللديك قداسته عند المانوية[١٥٥] : « (فـ) العوام تقضي على من كان في داره ديك أبيض أفرق بالزندقة » ، وله فائدته المعاشية عند أصحاب الحرث ، على حين لا يستغني الرعاة عن الكلب .

وقد يشابه بالمقابل الحيوان الإنسان كما نقل الجاحظ عن[١٥٦] : « مثنى بن زهير ، وهو إمام الناس في البصرة بالحمام وكان جيد الفراسة حاذقاً بالعلاج ...

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

« قال مثنى بن زهير : لم أر شيئاً قط في رجل وامرأة إلا وقد رأيت مثله في الذكر والأنثى من الحمام : رأيت حمامة لاتريد إلا ذكرها كالمرأة لاتريد إلا زوجها وسيدها الخ .. »

ولكن الجاحظ اكتفى بعامة بالمشابه بين الإنسان والحيوان في الطباع والسلوك ولم يصلها بالمشابه الجسدية كما ينبغي في الفراسة وإن فعل ذلك أحياناً كما في « نص الغربان » ونصوص ، ذُكرت من قبل ، على بيئات قوية تطبع إنسانها وحيوانها بطابع واحد مثل بلاد الترك وحرة بني سليم .

ونصوص على بيئات فاسدة تكاد تمسخ صورة الإنسان[١٥٧] : « .. لاننكر أن يفسد الهواء في ناحية من النواحي فيفسد ماؤهم وتفسد تربتهم فيعمل ذلك في طباعهم على الأيام ...

« وقد خبرنا من لايحصى من الناس أنهم قد أدركوا رجالاً من نبط بيسان ولهم أذناب إلا تكن كأذناب التماسيح والأسد والبقر والخيل وإلا كأذناب السلاحف والجرذان فقد كان لهم عجوب طوال كالأذناب .

« وربما رأينا الملاح النبطي في بعض الجعفريات على وجهه شبه القرد .. »

ونصوص أخرى على الخلق المركب[١٥٨] : « وشر الطبائع ماتجاذبته الأعراق المتضادة والاخلاق المتفاوتة والعناصر المتباعدة ...

« وكذلك البغل : خرج من حيوانين يلدان حيواناً مثلهما ويعيش نتاجهما ويبقى بقاءهما ، وهو لايعيش له ولد وليس بعقيم ولا يبقى للبغلة ولد وليست بعاقر ... وخرج أطول عمراً من أبويه وأصبر على الأثقال من أبويه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

« أو كابن المذكرة من النساء والمؤنث من الرجال ...

« وزعم عثمان بن الحكم : أن ابن المذكرة من المؤنث يأخذ أسوأ خصال أبيه وأردأ خصال أمه ، فتجتمع فيه عظام الدواهي وأعيان المساوي ، وأنه إذا خرج كذلك لم ينجع فيه أدب ولا يطمع في علاجه طبيب ... »

ففي هذه النصوص ما يشير إلى تبدلات جسدية أو تكوينات جسدية تصحبها تبدلات وصفات نفسية سلوكية تحدث في الإنسان والحيوان على السواء ويتشابه فيها الإنسان والحيوان .

المهن

ليس كالوصف الذي وضعه الجاحظ على لسان خالويه المكدي[١٥٩] يصف فيه تجربته في الحياة ومغامراته مع الناس وفي الآفاق ، وبخاصة حين يقول : « إني قد لابست السلاطين والمساكين وخدمت الخلفاء والمكدين وخالطت النساك والفتاك » ـ كلمة تصف معرفة أبي عثمان بطبقات مجتمعة وفئاته ومهنه . ففي كتاباته نلتقي بالمكدين والطفيليين .. والكناسين والحاكة والسماكين والصاغة والأكارين والرعاة .. والوكلاء والتجار والصيارفة .. والحجاب والكتاب وأمراء الجيوش والولاة والوزراء والخلفاء ، وبالفتاك واللصوص والشطار والمجان والزهاد والمتصوفة والفقهاء والقضاة والمتكلمين والشعراء والعلماء .. ـ نلقاهم في جدهم وهزلهم وفي مناظراتهم ومواعظهم وسمرهم ...

والمهن من ممارستها تكوّن أجساد العاملين فيها وعقولهم تكويناً خاصاً ، وكذلك المجتمع في مواقفه من المهن وتصنيفه لها رفعة وحطة وفيما

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

يتيح لأربابها من كسب وتعليم وما تقننه تقاليده من لباس وركاب يصوغ اهتماماتهم وأخلاقهم وسلوكهم وحركاتهم ولغتهم صياغة معينة . واذا كنا لا نجد فيما بقي من مؤلفات الجاحظ كل شيء عن المهن في مجتمعه وآثارها ففي النصوص التي نقع عليها فيها مقنع ودلالة كافية . ولو أن مؤلفاته وصلت إلينا كلها فلربما كانت تكتمل عندنا صورة المجتمع الذي عاش فيه بفئاته ومهنه كلها أو معظمها[١٦٠] .

فما قاله فيما تتركه المهنة من طابع على جسد صاحبها قوله[١٦١] : « وقد وصف عبيد الراعي كيف تتحول صورة الراعي وتتبدل خلقته . وكذلك **كل صناعة تصور صاحبها على ما يشاكلها** . ألا ترى أن الحائك يعرف بصُدرته وتفحُّج رجليه ولا يكون أبداً إلا وجلد بطنه أسود ـ وقال عبيد الراعي :

ترى وجهه قد شاب في غير لحية وذا لبد تحت العصابة أنزعا
ترى كعبه قد كان كعبين مرة وتحسبه قد عاش حولاً مكنعا☆

« وقال يزيد بن مفرغ ما يؤكد قولنا ويفسره :

يقولون أوس شاعر فاحذرنه وما أنا إن لم أهج أوساً بشاعر
رأيت لأوس خلقة فشنأتها لهازم☆☆ حراث وتقطيع جازر

« وقال آخر :

وصفت بجهدي وجه حفص وخلقه
فما قلت فيه واحداً من ثمانيه

☆ المكنع : المقيد (القاموس)
☆☆ اللهزمة : اللحمة الناتئة خلف الأذن (عن حاشية المحقق)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لهـــــازم أكار وخلقـــــة كافر وتقطيع كشخان ورأس ابن زانيه
ولحيـــــة قـــواد وعيني مخنـــق . . . .
وراحـة صبـاغ وصـدرة حـائـك ومرفق سقط رُدّ في الرحم ثانيه »

وفيما تعود عليه من كسب قال :[١٦٢] « ... ولم أر سقاء قط بلغ حال اليسار والثروة . وكذلك ضراب اللبن والطيان والحراث ، وكذلك ما صغر من التجارات والصناعات . ألا ترون أن الأموال كثيراً ما تكون عند الكتاب وعند أصحاب الجوهر وعند أصحاب الوشي والأنماط ، وعند الصيارفة والحناطين ، وعند البحريين ... والجلاب أبداً والبياذرة أيسر ممن يبتاع منهم . وجمل الأموال حق بأن تربح الجمل من تفاريق الأموال . وكذلك سبيل القصاب والجزار والشواء والبازيار والفهاد » .

وأما في التعليم فيقول الجاحظ[١٦٣] : « ووجدنا الأوائل كانوا يتخذون لأبنائهم من يعلمهم الكتابة والحساب ، ثم لعب الصوالجة و ... وبعد ذلك الفروسية واللعب بالرماح والسيوف و ... ثم النجوم واللحون والطب والهندسة ، وتعلم النرد والشطرنج وضرب الدفوف وضرب الأوتار و ...

« ويأمرون بتعليم أبناء الرعية الفلاحة والنجارة والبنيان والصياغة والخياطة والسرد والصبغ وأنواع الحياكة .. »

وإذا لم يحصل في تاريخ الإسلام أن وجد نظام ثابت للتعليم يفرضه السلطان ، فالواقع الاجتماعي كان يصرف بعامة طبقات المجتمع إلى أنواع من التعليم ودرجات تناسب كل طبقة طبقة منها على النحو الذي نقله الجاحظ عن الأوائل أو نحو قريب منه ، فتختلف أفهامهم ومعارفهم تبعاً لما فرضه هذا الواقع عليهم من تعليم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فلا عجب وهذان هما مستويا أصحاب الحرف الدنيا في المعاش والتعليم أن ينحط مستوى تفكيرهم وأن يحكم عليهم المجتمع بالحمق والغباء .

قال الجاحظ[١٦٤] : « وقد سمعنا قول بعضهم : الحمق في الحاكة والمعلمين والغزالين . قال : والحاكة أقل وأسقط من أن يقال لهم حمقى ، وكذلك الغزالون ، لأن الأحمق هو الذي يتكلم بالصواب الجيد ثم يجيء بخطأ فاحش ، والحائك ليس عنده صواب جيد في فعال ولا مقال » .

ولا عجب أن يدور بين أفراد هذه الطبقة مثل الحوار الذي دار بين كناسي الكرخ وعريفهم ورواه لنا الجاحظ[١٦٥] .

ونقع في كتابات الجاحظ على نصوص تكشف عن موقف الطبقة الثرية من هذه الطبقة الفقيرة :

قال :[١٦٦] « سمعت شيخاً من مشايخ الأبلة يزعم أن فقراء أهل البصرة أفضل من فقراء أهل الأبلة ، قلت : بأي شيء فضلتهم ؟ قال : هم أشد تعظيماً للأغنياء وأعرف بالواجب .

« ووقع بين رجلين أبليين كلام ، فأسمع أحدهما صاحبه كلاماً غليظاً فرد عليه مثل كلامه . فرأيتهم قد أنكروا ذلك إنكاراً شديداً ولم أر لذلك سبباً . فقلت : لم أنكرتم أن يقول له مثلما قال ؟ قالوا : لأنه أكثر منه مالاً ، وإذا جوّزنا له جوزنا لفقرائنا أن يكافئوا أغنياءنا ، ففي هذا الفساد كله »

وكذلك نقع على نصوص أخرى تنطوي على أحكام قاسية على أخلاق أصحاب هذه المهن الدنيا :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

قال :[١٦٧] « كما أن كل حجام في الأرض من أي جنس كان ومن أي بلد كان فهو يحب النبيذ ، وكما أن أصحاب الخلقان والسماكين والنخاسين والحاكة في كل بلد من كل جنس شرار خلق الله في المبايعة والمعاملة ، فعلمنا بذلك أن ذلك خلقة في هذه الصناعات وبنية في هذه التجارات حين صاروا من بين جميع الناس كذلك » .

وكل ما يتصف به أصحاب هذه المهن من صفات جسدية وعقلية وخلقية مترابطة فيما بينها يدل بعضها على بعضها ، وعلى هذا الترابط تقوم الفراسة .

ويلحق بأصحاب هذه المهن الدنيا فئات اجتماعية أخرى مثل المكدين والعيارين والطفيليين واللصوص الخ .. ولقد أوسع الجاحظ المكان في كتاباته لهذه الفئات ، بل لقد خص بعضها بكتب قائمة برأسها وصف فيها أخلاقها وتصرفاتها وتقاليدها الخ ...

كما يقابل هذه الطبقات التي تترسب في قاع المجتمع طبقات أخرى تتصدره يمكن أن نميز فيها طبقتين : طبقة التجار والصيارفة والوكلاء . وطبقة عمال السلطان من حجاب وكتاب وقادة وولاة ووزراء .. وقد وصفها الجاحظ أيضاً وخص بعضها بكتب خاصة .

ولا أريد أن أتوقف عند هذه الطبقات الثرية ولا عند أولئك المتشردين والشذاذ فذلك بحث يطول .

ولكنني لا أريد أن أنهي هذا الجانب من البحث دون الإشارة إلى رسالة « صناعات القواد[١٦٨] » الهزلية الجدية الساخرة : فقد تصور أبو عثمان فيها أرباب مهن مختلفة خاضوا معركة حربية ثم أخذ كل واحد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

منهم يصف هذه المعركة ، وأورد أبو عثمان أبياتاً في الغزل وضعها على لسان كل منهم ؛ فتتكشف في الوصف والغزل عقولهم وتصوراتهم وأساليبهم في التعبير ومعجم ألفاظهم التي صاغتها وفرضتها عليهم مهنهم المختلفة .

الهيأة وصفات الأعضاء

الاعتدال والتوازن والانسجام في الجسم وبين الأعضاء والجوارح والقسمات دليل عند الجاحظ على الاعتدال والتوازن والانسجام في النفس والتفكير والخلق :

قال أبو عثمان :[١٦٩] « وكان يقول (النظام) : إن الأمة التي لم تنضجها الأرحام ويخالفون في ألوانهم وأحداق عيونهم وألوان شعورهم سبيل الاعتدال لا تكون عقولهم وقرائحهم إلا على حسب ذلك ، وعلى حسب ذلك تكون أخلاقهم وآدابهم وتصرف هممهم في لؤمهم وكرمهم .. »

وقال :[١٧٠] « .. وفراسة الرجل السوء أن يكون منقبضاً غير منشرح وأن يرى لونه إلى الصفرة والكمود من غير مرض وأن يكون طائش القلب وأن يكون للدعابة والمزاح كارهاً له عائباً وأن تراه غليظ اللفظ عند المحاورة .

« ومن فراسة الرجل الصالح أن تراه سهلاً طلقاً ذا منظر بهي وكلام شهي سبط الجبين غير منقبض ولا نزق علق قلق وغير كارهٍ للدعابة والمزاح يذكر من يذكر بخير لين المحاورة متواضعاً »

أما في الألوان والأعضاء والجوارح ففي كتب الجاحظ أقوال كثيرة ومتناثرة تصفها وتصف المحمودة منها والمذمومة والممدوحة والمهجوة والمشؤومة وما يتوسم فيها الخير :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الألوان

كان العرب بعامة يتشاءمون بالصهب والحمر القشر :

قال أبو عثمان :[١٧١] « .. وقال الشاعر :

وخصم غضاب ينفضون رؤوسهم أولي قدم في الشغب صهب سبالها
ضربت لهم إبط الشمال* فأصبحت يرد عداة آخرين نكالها »

وقال :[١٧٢] « .. وكان النعمان أزرق أقشر أحمر العينين أحمر الحماليق . وفيه يقول أبو قردودة حين نهى ابن عمار عن منادمته :

إني نهيت ابن عمار وقلت له : لا تأمنن أحمر العينين والشَعَرَة »

وقال :[١٧٣] « وكنت أظن بالحمر الألوان التسرع والحدة فوجدت الحلم فيهم أعم . وكنت أظن بالسمان الخدال** العظام أن الفالج إليهم أسرع فوجدته في الذين يخالفون هذه الصفة أعم »

الرؤوس

وكانوا يعيبون صغر الرأس :

قال :[١٧٤] « وممن يضاف إلى صغر الرأس ويعاب بذاك سنان بن سلمة الهذلي . وهو الذي قال له ابن راشد الجديدي : والله ما أنت بعظيم الرأس فتكون سيداً وما أنت بأرسح فتكون فارساً » .

وينعتونه برأس العصا :

---

* إبط الشمال فسره الجاحظ بالفؤاد

** الخدال جمع خدل وهو المتلئ الأعضاء لحماً في رقة عظام

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قال[١٧٥] : « وكان عمرو بن هبيرة صغير الرأس . فقال سويد بن الحارث :

من مبلغ رأس العصا أن بيننا ضغائن لاتنسى وإن قدم الدهر »

ويحمدون الرؤوس العظام :

قال :[١٧٦] « قال مسكين الدارمي في عظم رؤوس بني تميم :

وإنا أناس تملأ البيض هامنا ونحن حواريون حين نزاحف

.....

« عبد الوارث عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : الصورة الرأس فإذا ذهب الرأس فلا صورة » .

وكانوا يمدحون الصلع ويرون أنه دليل السؤدد والسيادة :

قال :[١٧٧] « وقال آخر :

بنّى (لنا) المجد آباء لنا سلفوا صلع الرؤوس وسيما السادة الصلع

« وقال الآخر :

إذا مالقينا أصلع الرأس أشيبا طويل القرا ضخم العثانين أكلفا
فذاك الذي لا يخلف البرق ودقه ويصبح بساماً وإن كان مدنفا

. . . .

لهاميم صلعٌ في قديم أرومة
وحادث مجد كان بالأمس مطرفا »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

العيون

ويشاءمون بالزرق . وإذا وصفوا العين بالزرقة وقع على لونين : فقد تكون زرقاء اللون وقد تكون ذهبية :

قال :[١٧٨] « ومن الزرق ممن كانوا يتشاءمون به قيس بن زهير وكان أزرق وكان بكراً وابن بكر . وكانت البسوس زرقاء وبكراً بنت بكر ...

« وقال عبد الله بن همام السلولي :

ولا يكوننّ مال الله مأكلة لكل أزرق من همدان مكتحل

« وقال آخر :

لقد زرقت عيناك يا ابن مكعبر كما كل ضبي من اللؤم أزرق »

وحمرة العيون قد تكون[١٧٩] « للعرض المفارق كعين الغضبان وعين السكران وعين الكلب وعين الرمد ...

« قال أبو حية :

غضاب يثيرون الذحول عيونهم كجمر الغضا ذكيته فتوقدا »

ولكنهم بعامة يذمون الحمر العيون الحمر الحماليق* : وقد مر ذكر النعمان وما قال أبو قردودة في حمرة عينيه .

وقال أبو عثمان :[١٨٠] « وقال معاوية لصحار العبدي : يا أحمر ، قال : والذهب أحمر ، قال : يا أزرق قال : والبازي أزرق . وأنشدوا :

---

* الحماليق باطن الأجفان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولا عيب فيها غير شكلة عينها كذاك عتاق الطير شكل عيونها »

والشكلة عندهم محمودة :

قال :[١٨١] « وقال يونس : لم أر قرشياً قط أحمر عروق العينين إلا كان سيداً شجاعاً . وروى أن النبي ﷺ كان أشكل العينين ضليع الفم » .

الأنوف

يقول أبو عثمان :[١٨٢] « والأنف هو النخوة وموضع التجبر .. والأنف هو موضع الخَنْزُوانة والنُّعَرة☆ » ويحمد في الأنف الشمم :

قال :[١٨٣] « قال حسان بن ثابت :

بيض الوجوه نقية أجسادهم شم الأنوف من الطراز الأول

«وقال ابن مقرم الضبي :

وفتية لا يشين الفحش مجلسهم شم العرانين لا ميل ولا عزل

« وقالوا : وكانوا بنو عبد المطلب عشرة يأكل أحدهم جذعة ويشرب فَرْقاً☆☆ ترد أنوفهم الماء قبل شفاههم » .

وقال :[١٨٤] « ووصف الإنسان بأنه أقنى مدح ، وكذلك جوارح الطير . قال ذو الرمة :

☆ الخنزوانة : الكبر ، وكذلك النعرة (عن حاشية المحقق)

☆☆ الفرق مكيال لأهل المدينة يسع ثلاثة اصع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

نظرت كما جلى على رأس مرقب
من الطير أقنى ينفض الطـــــل أزرق »

ويهجون بالأنوف الفطس والسائلة المسترخية العظيمة الأرنبة وبالأنوف الشعر :

قال :[١٨٥] « وقال أبو عزة وهو عمرو بن عبد الله بن وهب بن حذافة بن سعد بن جمح :

قبح الإله وجوههم وشياتهم ممـــاتجن صــدورهم أو تخمز
زرق العيون كأن حد أنوفهم كمر الكلاب لنـــاظر يتبصر

« وقال عقيل بن علّفة يهجو عمار بن عيينة بن حصن :

لم يبق من آل بدر غير أهجنة شعر أنوفهم حول ابن عمــار

« وأنشد أبو الرديني العكلي :

عدمت أنفاً هاهنا مستالا من امرئ قد عدم الجمـالا
وحـــاجبين عظما وطـــالا وعين سوء تكسر المكحـــالا »

الأفواه والأصوات

وكانوا (ونعني دائماً العرب) يمدحون الواسع الشدق الجهير الصوت ويذمون الضعيف الصوت الصغير الفم :

قال أبو عثمان :[١٨٦] « وحدثني محمد بن يسير الشاعر قال : **قيل لأعرابي : ما الجمال ؟ قال : طول القامة وضخم الهامة ورُحب الشدق وبعد الصوت .**

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

« وسأل جعفر بن سليمان أبا المخش عن ابنه المخش ، وكان جزع عليه جزعاً شديداً ، فقال : صف لي المخش ، فقال : ☆كان أشدق خُرْطُمانياً ، سائلاً لعابه ، كأنما ينظر من قَلْتَين ، وكأن ترقوته بُوان أو خالفة ، وكأن منكبه كِركِرة جمل ثِفال ، فقأ الله عيني إن كنت رأيت قبله أو بعده مثله .

« قال : وقلت لأعرابي : ما الجمال ؟ قال : غؤور العينين وإشراف الحاجبين ورحب الشدقين ...

« ويدلك على تفضيلهم سعة الأشداق وهجائهم ضيق الأفواه قول الشاعر :

لحى الله أفواه الدَّبى من☆☆ قبيلة
إذا ذكرت في النائبات أمورها

وإنما شبه أفواههم بأفواه الدبى لصغر أفواههم وضيقها ...

« وقال بشار بن برد يهجو بعض الخطباء :

ومن عجب الأيام أن قمت ناطقاً
وأنت ضئيل الصوت منتفخ السَحْر

« وكان أبو عروة الذي يقال له : أبو عروة السباع يصيح بالسبع وقد احتمل الشاة فيخلّيها ويذهب هارباً على وجهه ، فضرب به الشاعر المثل وهو النابغة الجعدي فقال :

☆ الخرطماني : الكبير الأنف ـ القلت : النقرة في الجبل تمسك الماء ـ البوان : عمود في مقدم الخباء ـ الخالفة عمود في مؤخره ـ الثفال : البطيء (عن الحاشية)

☆☆ الدبى : أصغر الجراد والنمل (القاموس)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وأزجر الكاشح العدو إذا اغتابك عندي زجراً على أضم*

زجر أبي عروة السباع إذا أشفق أن يلتبس بالغنم

« وأنشد أبو عمرو الشيباني لرجل من الخوارج يصف صيحة شبيب بن يزيد بن نعيم ، قال أبو عبيدة وأبو الحسن (علي بن محمد المدائني) : كان شبيب يصيح في جنبات الجيش إذا أتاه فلا يلوي أحد على أحد ، وقال الشاعر فيه :

إن صاح يوماً حسبت الصخر منحدراً

والريح عاصفة والموج يلتطم

« قال أبو العاصي : أنشدني أبو محرز خلف بن حيان وهو خلف الأحمر مولى الأشعريين في عيب التشادق :

له حنجر رحب وقول منقح وفصل خطاب ليس فيه تشادق »

اللسان

وكانوا يرون في اللسان الطويل حتى يضرب أرنبة الأنف القدرة على القول القاطع والهجاء الموجع :

قال :[١٨٧] « وقال سويد بن أبي كاهل :

(ورأى مني مقاماً صادقاً ثابت الموطن كتام الوجع)

ولساناً صيرفياً صارماً كذباب السيف مامس قطع

---

* الأضم : الغضب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

« وقال النبي ﷺ لحسان بن ثابت : ما بقي من لسانك ؟ فأخرج لسانه حتى ضرب بطرفه أرنبته ، ثم قال : والله ما يسرني به مقول من معد ، والله لو وضعته على حجر لفلقه أو على شعر لحلقه .

« قال : وسمعت أعرابياً يصف لسان رجل فقال : كان يشول بلسانه شولان البَروق* ويتخلل به تخلل الحية .

« قال : ووصف أعرابي رجلاً فقال : أتيناه فأخرج لسانه كأنه مخراق** لاعب » .

الأعناق

وكانوا يمدحون الرقاب الغلب والأعناق الطويلة السبطة ، ويهجون بالرقاب الشعر :

قال :(١٨٨) « وأنشد أبو عبيدة :

وصلع الرؤوس عظام البطون جفاة المحز غلاظ القَصر***
شداد المقابض يوم الجلاد رحاب الشداق طياب الخبر »

وقال :(١٨٩) « وقال الشمردل :

إذا جرى المسك يندى في مفارقهم راحوا كأنهم مرضى من الكرم
يشبّهون ملوكاً من تجلتهم
وطول أنضية**** الأعناق والأمم »

---

* البروق : الناقة إذا طلبت الفحل فإنها حينئذٍ ترفع ذنبها

** المخراق منديل أو نحوه يلوى فيضرب به (تفسير الألفاظ منقول عن حاشية المحقق)

*** القصر : العنق

**** النضي : السهم الذي لم يُرَش يعني أن أعناقهم ملس مستوية ـ الأمم : القامات (من شرح الجاحظ)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقال :[١٩٠] « وقال آخر ووصف عنق رجل :

يـــارُبَّهـــا يـــوم تـــلاقي أسلمـــا يـــوم تـــلاقي الشيظم المقـوّمـــا
عبـــل المشـــــاش وتراه أهضما كأن بين منكبيـــــــــه سلّما »

قال :[١٩١] « وفزارة تهجى بشعر القفا . ولذلك قال الحارث بن ظالم حيث انتسب إلى قريش وانتفى من بني مرة بن عوف :

فمـــا قـــومي بثعلبـــة بن سعـــد ولا بفـــزارة الشعر الرقـــابـــا »

الأكف

ويمـدحـون القبضـات القـويـة والأكف ذات العروق البـارزة في ظاهرها :

قال :[١٩٢] « قال دريد بن الصمة :

أبلـــغ نعيمـــاً وأوفى إن لقيتهما إن لم يكن كان في سمعيهما صمم
فـــلا يـــزال شهـــاب يستضـــاء بـــه
يهـــدي المقـــانب* مـــا لم تهلـــك الصّمم
عـاري الأشـاجـع معصـوب بلمتـه أمر الـزعـامـة في عرنينـــه شمم

الأوراك

ويمدحون كذلك الأوراك الرسح . وقد مر من قبل قول ابن راشد لسنان بن سلمة : « .. وما أنت بأرسح فتكون فارساً » .

---

* المقانب جمع مقنب ، والمقنب الجماعة من الخيل ليست بالكثيرة ـ الصّم جمع صمة وهو الشجاع (من الحاشية)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

البطون

وكانوا يفخرون بشدة الجسم مع هزاله وخفة الحشا ويذمون السمن :

قال :[١٩٣] « وللحسين بن مُطير :

رأت رجلاً أودى بوافر لحمه ... طلاب المعالي واكتساب المكارم
خفيف الحشا ضرباً كأن ثيابه ... على قاطع من جوهر الهند صارم
فقلت لها : لا تعجبنّ فإنني ... أرى سمن الفتيان إحدى المشاتم »

وقال :[١٩٤] « وقيل لآخر : ما أسمنك ؟ قال : قلة الفكرة وطول الدعة والنوم على الكظة »

ومع ذلك هناك أقوال تتمدح بالبطون المندلقة . وقد ذُكر من قبل ما أنشد أبو عبيدة : « وصلع الرؤوس عظام البطون .. » .

وقال أبو عثمان :[١٩٥] « وقال معاوية بن أبي سفيان : ثلاث خصال من السؤدد : الصلع واندحاق البطن وترك الإفراط في الغيرة »

الهيأة والمشية

قال :[١٩٦] « ومما مدح به العماني هارون الرشيد .. قوله :

جهير العطاس شديد النياط ... جهير الرواء جهير النغم
ويخطو على الأين خطو الظليم ... ويعلو الرجال بجسم عمم »

« وكان الرشيد إذا طاف بالبيت جعل لإزاره ذنبين عن يمين وشمال ثم طاف بأوسع من خطو الظليم وأسرع من رجع يد الذئب .

« وقال إبراهيم : ونظر إليه أعرابي في تلك الحال والهيأة فقال :

خطو الظليم ريع ممسيً فانشمر »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والخلاصة

أظن أنه أصبح من الممكن ، بعد هذا الاستعراض لما عند الجاحظ في الفراسة ، استخراج بعض النتائج :

أولاً ـ إن كتب الجاحظ ، ما وصل منها فقط ، معدن غني يمكن أن تستخرج منه كل الفلزات والمواد اللازمة والكافية لتشييد بناء لعلم الفراسة إن لم يكن مكتملاً فيكاد يكونه .

ثانياً ـ إن مفهوم الفراسة كان عند الجاحظ واضحاً ومحدداً : في معناها من حيث هي كشف عن الطباع الثابته أو عما يختلج في النفس مما هو عارض ، وفي معناها من حيث هي علم بالغائب في كل الأمور .

ثالثاً ـ ولكنه ينقل عن أصحاب الفراسة أن علوماً مثل علوم الكف والأكتاف والحيلان وقرض الفأر الخ .. تدخل في علم الفراسة ، وهي من العلوم التي كان يدعوها القدماء علوم تقدمة المعرفة وتدعى في أيامنا العلوم التنبؤيه ، مما يدل على أن الفراسة في عصره لم تكن قد تميزت من التنبؤ بالمصاير : مصاير الأفراد ومصاير الجماعات . فهل كان الجاحظ نفسه يدخل هذه العلوم فيما كان يسميه العلم بالغائب ؟ إن أبا عثمان لم يقل : العلم بالغيب بل قال : العلم بالغائب . فما أظنه ، وهو المعتزلي ، كان يسلم بإمكان الاطلاع على الغيوب . والنصوص التي يرد فيها ذكر العلم بالغائب لا تدل على أكثر من معرفة حدسية بالمسبَّبات استناداً إلى أسباب تخفى إلا على العقل النافذ والبصيرة الثاقبة . وقد عرفه على كل حال فقال : « وأول العلم بكل غائب الظنون ، والظنون إنما تقع في القلوب بالدلائل ، فكلما زاد الدليل قوي الظن حتى ينتهي إلى غاية تزول معها الشكوك عن القلوب .. » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

رابعاً ـ أما العلوم الأخرى التي ألحقت بعلم الفراسة ، مثل استنباط المعادن ومعرفة الغيث والاهتداء في القفار الخ ، فيبدو أنها كانت في عصر الجاحظ وعنده مازالت بعيدة عن علم الفراسة ومستقلة عنه .

خامساً ـ إلا القيافة من هذه العلوم فالجاحظ كثيراً ماقرنها بالفراسة ، فكثيراً ماردد مثل هذه الصيغة : « إن الأمر كذا لايحتاج إلى فراسة أو قيافة لمعرفة كذا » ، مما يدل على أن الجاحظ كان يدرك القربى الحميمة التي تربط بين العلمين ، ولكنها بقيا عنده متميزين أحدهما من الآخر .

سادساً ـ إن الجاحظ كان بالتأكيد مطلعاً على بعض كتب الفراسة المترجمة عن اليونانية . فهو يذكر أفليمون ويعطيه لقب صاحب الفراسة ، وأشك أن يكون على اطلاع على كتاب « سر الأسرار » المنسوب لأرسطو أو أي كتاب آخر له في الفراسة ، فهو على كثرة ما يذكر صاحب المنطق لم أقع مرة على اسمه مقترناً بالفراسة . وقد نقل الجاحظ عن هذه الكتب وتأثر بها : فقوله بالأخلاط مثلاً قد أخذه منها ، وكذلك فكرة تأثير البيئة على الإنسان والحيوان ، ولكنه ملأها بمعلومات مستقاة من مصادر عربية أو مصادر راهنة موجودة في مجتمعه .

سابعاً ـ ولكنه فيما عدا ذلك كان يرجع إلى مصادر عربية أو إلى ما كان متداولاً في عالمه مما هو متوارث من حضارات قديمة أو إلى تجربته الخاصة ولا سيما ما يتصل من هذه المعلومات بالنقص العضوي أو النفسي أو بالمهن أو بدلالات الهيآت والأعضاء .

وإن في الأقوال والأشعار التي اعتمدها ما يوضح معنى ماذكر من وجود كتابات في الفراسة في اليمن رحل الشافعي في طلبها وكتاب في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الفراسة باسم الشافعي ، إذ يكفي أن يعن فقط لإنسان أن يجمع تلك الأقوال والأشعار حتى تجتمع له مادة تصلح لأن تكون أساساً لكتاب في الفراسة ، فاذا هو صاغها قواعد عامة أصبحت كتاباً في الفراسة كاملاً لا ينقصه إلا قليل ، والعصر بعد كان عصر وضع القواعد العامة وإنشاء العلوم ، ففيه وضعت علوم النحو والصرف واللغة والعروض والقافية والفقه وأصوله والحديث وعلومه والكلام و .. والجبر الخ ..

ملحق

باب العرافة والزجر والفراسة على مذهب الفرس

ويبقى ماذكره بروكلمان[١٩٧] عن كتاب للجاحظ بعنوان « باب العرافة والزجر والفراسة على مذهب الفرس » ، توجد منه مخطوطة في ليدن ، وقد نشره في سان بترسبورغ سنة ١٩٠٧ ، وترجمه إلى الروسية وعلق عليه « ك.إينوسترانتسيف » في « مواد من مصادر عربية تفيد في تاريخ الحضارة في فارس الساسانية » . وذكره يوسف مراد في كتابه « الفراسة عند العرب » ، وفهد في مقاله « الفراسة » في دائرة المعارف الإسلامية (الجديدة) ، وكلاهما ينعته بأنه منحول للجاحظ .

ومما ذكره فهد[١٩٨] نعلم أن في الكتاب تعريفاً للفراسة ، واستشهاداً بالآية ﴿ ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول ﴾ على أن خصائص الطبع لاتبقى خافية ولو جدّ الإنسان في كتمانها .

ومما ذكره يوسف مراد[١٩٩] نعلم أن فيه كلاماً في دلالة الخيلان يشبه ما في كتاب ميلامبوس ، وذكراً لكتاب أبقراط « علامات ماقبل لحظة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الموت » ، وقصة اكتشافه ، وأن اسمه كما وضعه أبقراط « أسرار الطبيعة » ، وأن مترجمه حنين بن إسحاق . ونقل عنه الفقرة التالية (كما ترجمها عن الفرنسية الدكتور وهبه) : « ولقد وضع الله على كل عضو من أعضاء الجسم الحيواني أو الإنساني علامة ، ثم أخفى هذا العضو وهذه العلامة بغطاء من الصحة بحيث تبقى العلامة مختفية تحت الممتد والمحفوظ . وإذا ظهرت إحدى هذه العلامات عزم من ذلك ظهور مرض أو تخارج نقص ما أو موت عاجل أو انحراف كامن » .

وليس لي أن أحكم والكتاب ليس بين يدي . ولكن هذا الكتاب لم يشر إليه الجاحظ مرة واحدة في كتبه التي وصلت إلينا كما أشار إلى كثير من كتبه ، ولم يذكره له ابن النديم ولا ياقوت ولا حاجي خليفة ولا أي كاتب ممن ترجموا للجاحظ ، ولم ينقل عنه بل لم يشر إليه أي كتاب من كتب الفراسة ولا أيٌ ممن كتب في الفراسة ـ مما وصل إلي علمه .

للبحث صلة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

المراجع والتعليقات

(٨٦) رسالة المعاد والمعاش (الموجهة إلى أبي الوليد محمد بن أحمد بن أبي دواد) ـ رسائل الجاحظ ، ج ١ ، ص ٩٣ ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ مصر ١٩٦٤

(٨٧) رسالة الوكلاء (وهي موجهة إلى رجل كتب في ذم الوكلاء) ـ الرسائل ، ج ٤ ، ص ١٠٢ ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ مصر ١٩٧٩

(٨٨) رسالة كتمان السر وحفظ اللسان ـ الرسائل ، ج ١ ، ص ١٤١ ـ ١٤٩

(٨٩) رسالة الحاسد والمحسود ـ الرسائل ، ج ٣ ، ص ٨

(٩٠) رسالة فصل ما بين العداوة والحسد (قد تكون موجهة لأبي الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان) ـ الرسائل ، ج ١ ، ص ٣٥٣ ـ ٣٥٥

ويدخل في هذا المعنى للفراسة ما ورد في « رسالة في الجد والهزل » : « وأما الواد ... ولا تغتر بقوله : إني واد ... وانظر أنت في حديثه وإلى مخارج لفظه وإلى لحن قوله وإلى طريقته وطبيعته وإلى خلقه وخليقته وإلى تصرفه وتصميه وإلى توقفه وتهوره ، وتأمل مقدار جزعه من قلة اكتراثه ، وانظر إلى غضبه فيك ولك وإلى انصرافه عمن انصرف عنك وميله إلى من مال إليك ...

« ثم لا تحكم له بذلك حتى تكون حاله مقصورة على محبتك ومحنوّة على نصيحتك بالعلل التي توجب الأفعال والأسباب التي تسخر القلوب للمودات كالعلل الثابتة في الصنيعة ...

« فإن أنت لم تحكم له بالغاية مع اجتماع هذه العلل فيه ومع توافيها إليه ، ولم تقض له بأقصى الغاية مع ترادف هذه الأسباب وتكامل هذه الدلائل وتعاون هذه البرهانات ـ فكل خبر بيّنه زور وكل دلالة فاسدة . وقد قال الأول : دلائل الأمور أشد تثبيتاً من شهادات الرجال ، إلا أن يكون في الخبر ومع الشهادة برهان ، لأن الدليل لا يكذب ولا ينافق ولا يزيد ولا يبدل ، وشهادة الإنسان لا تمتنع من ذلك ... » ـ الرسائل ، ج ١ ، ص ٢٣٩ و ٢٤٠

(٩١) الحيوان ، ج ٤ ، ص ٤٢٣ و ٤٢٤ ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ الطبعة الثانية ١٩٦٦

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(٩٢) رسالة المعاش والمعاد ـ الرسائل ، ج ١ ، ص ١٢٠ و ١٢١

(٩٣) الحيوان ، ج ٣ ، ص ٦٠

(٩٤) انظر إلى النص كاملاً في الحيوان ، ج ٣ ، ص ٢٧١ ـ ٢٧٣

(٩٥) البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ١١٦ ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ الطبعة الرابعة ١٩٧٥

وارجع إلى ما ذكر من صفة يستدل بها على فراهية الكلب : « قال بعض من خبر ذلك : إن طول ما بين يدي الكلب ورجليه بعد أن يكون قصير الظهر من علامة السرعة . قال : ويصفونه بأن يكون صغير الرأس طويل العنق غليظها الخ ... » (الحيوان ، ج ٢ ، ص ٤٥ ـ ٤٨) .

(٩٦) وتتمة الخبر : « ويزعمون أن أبا جعفر المنصور نزل في بعض القرى ، فقرض الفأر مسحاً له كان يجلس عليه فبعث به ليرقأ . فقال له الرفاء : إن هنا أهل بيت يعرفون بقرض الفأر ما ينال صاحب المتاع من خير أو شر فلا عليكم أن تعرضوه عليهم قبل أن تصلحوه . فبعث المنصور إلى شيخهم ، فلما وقعت عينه على موضع القرض وثب وقام قائماً ، ثم قال : من صاحب هذا المسح ؟ فقال المنصور : أنا ، فقام ثم قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، والله لتلين الخلافة أو أكون جاهلاً أو كذاباً » ـ الحيوان ، ج ٥ ، ص ٣٠٣

وجاء في كتاب « البرصان .. » : « .. ومنهم إفريقي هرثمة (بن أعين) ، قدم به هرثمة ينظر في الأكتاف ويتكهن . والنظر في الأكتاف شبيه بالنظر في أسرار الكف وفي قرض الفأر وفي الخيلان ، ولكل صنف من هذه الأبواب صنف من الناس يدعون أن فيه علماً . وخبرني بكر بن الأشقر صاحب خمس بني تميم بالبصرة ، وكان أبو زيد (الكتاف ، افريقي هرثمة) جاراً له ببغداد ، قال : لم يزل يقول : لا يموت هرثمة حتى يهزم جيش المبيضة .. » ـ البرصان والعرجان والعميان والحولان ، ص ٣٠٨ ـ تحقيق محمد مرسي الخولي ـ القاهرة ١٩٧٢

(٩٧) ففي المعادن صنف كتاباً ذكره في مقدمة كتاب الحيوان ـ الحيوان ، ج ١ ، ص ٥ .

وفي العرافة والزجرو ... ـ الحيوان ، ج ١ ، ص ٦٣ و ج ٢ ، ص ٣١٦ و ج٣ ، ص ٤٣٨ ـ ٤٥٧ و ج ٥ ص ٥٨٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي الاهتداء في البراري ومعرفة الغيث ـ الحيوان ، ج ٢ ، ص ١١٩ ـ البرصان .. ص ١٨٤ و ٣٠٤ ـ وفي الحيوان ، ج ٦ ، ص ٣٠ هذا النص :

« ومن هذه الجهة عرفوا (الأعراب) الآثار في الأرض والرمل ، وعرفوا الأنواء ونجوم الاهتداء ، لأن كل من كان بالصحاصح الأماليس حيث لا أمارة ولا هادي مع حاجته إلى بعد الشقة مضطر إلى التماس ما ينجيه ويؤديه .

« ولحاجته إلى الغيث وفراره من الجدب وضنه بالحياة اضطرته الحاجة إلى تعرف شأن الغيث ...

« وأكثر سبب ذلك كله ، بعد فرط الحاجة وطول المدارسة ، دقة الأذهان وجودة الحفظ » .

وفي القيافة يكفي النص التالي مثالاً على قرن الجاحظ القيافة بالفراسة :

« .. وأنت لا تغلط في التركي ولا تحتاج فيه إلى قيافة ولا إلى فراسة .. » ـ الرسائل ، ج ١ ، ص٦٣

(٩٨) كتاب في الأوطان والبلدان ـ الرسائل ، ج ٤ ، ص ١٠٩

وللجاحظ في الجغرافية ثلاثة كتب : هذا الكتاب ، الرسائل ، ج ٤ ، ص ١٠٩ ـ ١٤٧ ـ رسالة الحنين إلى الأوطان ، الرسائل ، ج ٢ ، ص ٣٨٣ ـ ٤١٢ ـ كتاب الأمصار وعجائب البلدان ، ذمّه المسعودي في مروج الذهب ، بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي (الترجمة العربية) ، ج ٣ ، ص ١٢٥

(٩٩) فخر السودان على البيضان ، الرسائل ، ج ١ ، ص ٢١٩

(١٠٠) الحيوان ، ج ٤ ، ص ٧٠

(١٠١) رسالة مناقب الترك (الموجهة إلى الفتح بن خاقان) الرسائل ، ج ١ ، ص ٦٣

وانظر : رسالة فخر السودان على البيضان ، الرسائل ، ج ١ ، ص ٢٢٠ ـ كتاب البغال ، الرسائل ، ج ٢ ، ص ٣١٣ ـ الحيوان ، ج ٤ ، ص ٧١

(١٠٢) الرسائل ، ج ١ ، ص ٢١٩

وانظر : كتاب البغال ، الرسائل ، ج ٢ ، ص ٣١٣ ـ الحيوان ، ج ٤ ، ص ٧١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(١٠٣) الحيوان ، ج ٤ ، ص ٧٢

(١٠٤) الحيوان ، ج ٢ ، ص ١٤٢ ـ ج ٧ ، ص ٢٢٩

(١٠٥) الحيوان ، ج ٤ ، ص ١٣٥

(١٠٦) رسالة الحنين إلى الأوطان ، الرسائل ، ج ٢ ، ص ٣٨٧

(١٠٧) الحيوان ، ج ٤ ، ص ١٣٥

ومثل : « والفرات خير من ماء النيل . وأما دجلة فإن ماءها يقطع شهوة الرجال ، ويذهب بصهيل الخيل ولا يذهب بصهيلها إلا مع ذهاب نشاطها ونقصان قواها ، وإن لم يتنسم النازلون عليها أصابهم قحول في عظامهم ويبس في جلودهم » (النيل يعني نيل الكوفة وهو خليج كبير يتخلج من الفرات حفره الحجاج بن يوسف وسماه باسم نيل مصر ـ القحول : اليبس ـ الشرح منقول عن حواشي المحقق) ـ الرسائل ، ج ٤ ، ص ١٣٦

(١٠٨) البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ٢٩١

(١٠٩) البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ٢٧ و ٢٨ ـ الرسائل ، ج ١ ، ص ٦٧

وللجاحظ كتب في الأمم والشعوب منها :

في مناقب الترك وعامة جند الخلافة ـ الرسائل ، ج ١ ، ص ٥ ـ ٨٦

فخر السودان على البيضان ـ الرسائل ، ج ١ ، ص ١٧٧ ـ ٢٢٥

مفاخرة السودان والحمران ـ العرب والعجم ـ العرب والموالي ـ الصرحاء والهجناء ـ القحطانية والعدنانية ـ فخر هاشم وعبد شمس ـ فخر عبد شمس ومخزوم يرجع الى فهرست مؤلفات الجاحظ في : فهرست ابن النديم ، ص ٢٠٩ ـ ٢١٢ (طبعة طهران) ـ معجم الأدباء لياقوت ، ج ١٦ ، ص ١٠٦ ـ ١١٠ ـ أدب الجاحظ لحسن السندوبي ، ص ١١٦ ـ ١٥٨ ـ تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ، ج ٣ ، ص ١١٠ ـ ١٢٨ (الترجمة العربية)

(١١٠) رسالة مناقب الترك ، الرسائل ، ج ١ ، ص ٦٧ ـ ٦٩

وانظر في وصف العرب : البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ٢٨ ـ الرسائل ، ج ١ ، ص ٦٩ و ٧٠

وفي وصف الفرس : البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ٢٨

وفي وصف الهند : رسالة فخر السودان على البيضان ، الرسائل ، ج ١ ، ص ٢٢٣ و

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وخص الترك برسالة مناقب الترك

وخص السودان برسالتين : مفاخرة السودان والحمران ، وهي مفقودة ـ وفخر السودان على البيضان

(١١١) البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ٨١

(١١٢) الحيوان ، ج ٤ ، ص ١٣٥

(١١٣) الحيوان ، ج ٤ ، ص ٧٢ ـ (وبيسان المذكورة قرية من قرى الموصل ـ نقلاً عن حاشية الحيوان)

(١١٤) البخلاء ، ص ١٧ ـ ٢٨ ، تحقيق طه الحاجري ، ط ٦ ، دار المعارف ، مصر ١٩٨١

(١١٥) رسالة الأوطان والبلدان ، الرسائل ، ج ٤ ، ص ١٣٦ ـ ١٤٧

(١١٦) الحيوان ، ج ١ ، ص ٤

(١١٧) رسالة المعلمين ، الرسائل ، ج ٣ ، ص ٤٥ ـ ٤٧

(١١٨) البخلاء ، ص ١٥٦

(١١٩) الحيوان ، ج ١ ، ص ٥

(١٢٠) الحيوان ، ج ٣ ، ص ٤٣٤ و ٤٣٥

(١٢١) الحيوان ، ج ١ ، ص ٢١٢ ـ ٢١٤

(١٢٢) رسالة في الجد والهزل (الموجهة إلى محمد بن عبد الملك الزيات) الرسائل ، ج ١ ، ص ٢٣٤

وارجع إلى : البرصان .. ، ص ٥١ : « ومن البهق الأسود والأبيض ، وإنما ذلك على قدر النقص فإن كان من المرة السوداء كان أسود ، وإن كان من البلغم كان أبيض ، وإذا ابيض لم يؤمن » .

(١٢٣) الحيوان ، ج ١ ، ص ٢٠١ ـ ٢٠٣

(١٢٤) الحيوان ، ج ١ ، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٦

(١٢٥) الحيوان ، ج ٢ ، ص ١٤٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(١٢٦) رسالة حجج النبوة ، الرسائل ، ج ٣ ، ص ٢٣٨

(١٢٧) رسالة المعاش والمعاد ، الرسائل ، ج ١ ، ص ٩٦

(١٢٨) الحيوان ، ج ٥ ، ص ٣٥

(١٢٩) البخلاء ، ص ١١١

وانظر ما جاء في البيان والتبيين ج ١ ص ٣٢٩ : « ودخل عبيد الله (ابن زياد بن ظبيان التيمي) على عبد الملك بن مروان ، بعد أن أتاه برأس مصعب بن الزبير ، ومعه ناس من وجوه بكر بن وائل ، فأراد أن يقعد معه على سريره . فقال له عبد الملك : ما بال الناس يزعمون أنك لا تشبه أباك ؟ قال : والله لأنا أشبه بأبي من الليل بالليل والغراب بالغراب والماء بالماء ، ولكن إن شئت أنبأتك بمن لا يشبه أباه ، قال : ومن ذاك ؟ قال : من لم يولد لتمام ولم تنضجه الأرحام ومن لم يشبه الأخوال والأعمام ، قال : ومن ذاك ؟ قال : ابن عمي سويد بن منجوف ، قال عبد الملك : أو كذلك أنت ياسويد ؟ قال : نعم . فلما خرجا من عنده أقبل عليه سويد فقال : وريت بك زنادي ، والله ما يسرني أنك كنت نقصته حرفاً واحداً مما قلت له وأن لي حمر النعم ، قال : وأنا والله ما يسرني بجلسك اليوم عني سود النعم » .

(١٣٠) البرصان ، ص ٧

(١٣١) البرصان ، ص ١٧

(١٣٢) البرصان ، ص ١٩

(١٣٣) البرصان ، ص ٢٠

وفي ديوان بشار ، ج ٤ ، ص ١٣٦ : في البيت الأول : نجد « أجولا » بدلاً من أحولا وفي البيت الثالث : « وغاض ضياء العين للقلب فاغتدى » بدلاً من : وغاض ضياء العين للعلم رافد .

(١٣٤) البرصان ، ص ١٥

(١٣٥) البرصان ، ص ٢١١ ـ البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ٧٥

(١٣٦) البرصان ، ص ٢٥٩

(١٣٧) البرصان ، ص ٢٣٧

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(١٣٨) الحيوان ، ج ١ ، ص ١٠٦ ـ ١٧٤

(١٣٩) البرصان ، ص ٤

(١٤٠) رسالة النبل والتنبل وذم الكبر ، الرسائل ، ج ٤ ، ص ١٧٥

(١٤١) الحيوان ، ج ٦ ، ص ٧١

(١٤٢) البيان والتبيين ، ج ٤ ، ص ٧٥

(١٤٣) البيان والتبيين ، ج ٤ ، ص ٧٠

(١٤٤) رسالة مفاخرة الجواري والغلمان ، الرسائل ج ٢ ، ص ٩١ ـ ١٣٧

(١٤٥) كتاب القيان ، الرسائل ج ٢ ، ص ١٤٣ ـ ١٨١

(١٤٦) كتاب النساء ، الرسائل ج ٣ ، ص ١٣٩ ـ ١٥٩

في مقدمة كتاب الحيوان ، حيث يرد الجاحظ على ناقد كتبه ، يذكر عدداً من كتبه من جملتها « كتاب فصل مابين الرجال والنساء وفرق مابين الذكور والإناث » (الحيوان ، ج ١ ، ص ٤) . ولكنه يعود في الجزء السادس فيسرد أبواباً من الكتاب بقيت وعليه أن يكتبها من كبارها « القول في فصل مابين الذكورة والإناث وفي فصل مابين الرجل والمرأة خاصة » (الحيوان ، ج ٦ ، ص ١٤) ، فيقعده المرض والشيخوخة على ما يظهر عن إنجاز ماقرر . ثم نجد في « الفصول المختارة من كتب الجاحظ لعبيد الله بن حسان » مختارات من كتاب النساء ، وفيه يعتذر بالشيخوخة والمرض عن معالجة موضوعات كان يريد أن يعالجها ليخرج الكتاب تاماً (كما نقلت في متن الدراسة) ، مما قد يوحي بأن الكتاب كتب بعد كتاب الحيوان كما هو الأمر في كتاب البغال . فهل هناك كتابان أم كتاب واحد هو المذكور في مقدمة الحيوان اكتفى به الجاحظ حين أقعده المرض والشيخوخة ؟

صاحب الفهرست يذكر كتابين ، يقول : « وأضاف إليه (إلى كتاب الحيوان) كتاباً آخر سماه كتاب النساء وهو الفرق فيما بين الذكر والأنثى . وكتاباً آخر سماه كتاب البغال . ورأيت أنا هذين الكتابين بخط زكريا بن يحيى بن سليمان ويكنى أبا يحيى وراق الجاحظ » ـ ثم يذكر له كتاباً آخر باسم « كتاب النساء » (الفهرست ، ص ٢٠٩ ـ ٢١٢ ، طبعة طهران) .

وكذلك فعل ياقوت نقلاً عن الفهرست (معجم الأدباء ، ج ١٦ ، ص ١٠٦ ـ ١١٠)

(١٤٧) كتاب النساء ، الرسائل ، ج ٣ ، ص ١٥٢

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(١٤٨) الرسائل ، ج ٣ ، ص ١٥٧

(١٤٩) الحيوان ، ج ٦ ، ص ١٤

(١٥٠) الحيوان ، ج ٥ ، ص ٤٨ ـ ٥٠

(١٥١) الحيوان ، ج ١ ، ص ٢١٣

(١٥٢) الحيوان ، ج ١ ، ص ٢٢٠

(١٥٣) الحيوان ، ج ٢ ، ص ١٦٠

(١٥٤) الحيوان ، ج ٢ ، ص ٣١٤

(١٥٥) الحيوان ، ج ٢ ، ص ٢٠٧

وانظر أيضاً : « يزعم زرادشت ، وهو مذهب المجوس ، أن الفأرة من خلق الله وأن السنور من خلق الشيطان وهو إبليس وهو أهرمن » ـ الحيوان ، ج ٤ ، ص ٢٩٨

و « تزعم العامة أن الفأرة كانت يهودية سحارة ، والأرضة يهودية .. والضب يهودي ، ولذلك قال بعض القصاص لرجل أكل ضباً : اعلم أنك أكلت شيخاً من بني إسرائيل ..

« وتزعم المجوس أن شوتَن الذي ينتظرون خروجه ويزعمون أن الملك يصير له يخرج على بقرة ذات قرون ومعه سبعون رجلاً عليهم جلود الفهود لا يعرف هرّاً ولابرّاً حتى يأخذ جميع الدنيا ...

« والباز والفهد من جوارح الملوك ، والشاهين والصقر والزُّرَق واليؤيؤ . وليس ترى شريفاً يستحسن حمل البازي لأن ذلك من عمل البازيار ، ويستهجن حمل الصقور والشواهين وغيرها من الجوارح . وما أدري علة ذلك إلا أن الباز عندهم أعجمي والصقر عربي » ـ (لا يعرف هَرّاً ولا بِرّاً : يأخذ الناس بالغشم لا يميز بين مواليه ومعاديه ـ نقلاً عن حاشية الحيوان) ـ الحيوان ، ج ٦ ، ص ٤٧٧ و ٤٧٨

(١٥٦) الحيوان ، ج ٣ ، ص ١٦٤

(١٥٧) الحيوان ، ج ٤ ، ص ٧٠ ـ ٧٢

(١٥٨) الحيوان ، ج ١ ، ص ١٠٢ ـ ١٠٤

(١٥٩) البخلاء ، ص ٤٨

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(١٦٠) فيما يلي كتب الجاحظ التي تدخل في باب المهن :

كتب : أخلاق الشطار ـ أخلاق الفتيان وفضائل أهل البطالة ـ أخلاق الملوك ـ أقسام فضول الصناعات ومراتب التجارات ـ الجواري ـ الحجاب ـ الطفيليين ـ حيل اللصوص ـ حيل المكدين ـ ذم أخلاق الكتاب ـ ذم الوراقة ـ السلطان وأخلاق أهله ـ طبقات المغنين ـ غش الصناعات ـ القحاب ـ صناعات القواد ـ القيان ـ مدح التجارة وذم عمل السلطان ـ مدح الكتاب ـ مدح الوراقة ـ المعلمين ـ المغنين والغناء والصنعة ـ الوكلاء ـ التبصر بالتجارة ـ القضاة والولاة ـ الأخطار والمراتب والصناعات (فهرست كتب الجاحظ في الفهرست ومعجم الأدباء وأدب الجاحظ للسندوبي وبروكلمان) .

(١٦١) البرصان ، ص ٢١٧

وقد يدخل في هذا المعنى قوله : « وكان أبو عبدان المخلّع مولى بَلْعنبر واسمه مرثد ، وكان أطيب الناس شعراً ، وكان صعترياً صاحب نيزكية وتخلع وكان ذا نشال ، وإذا تكلم عقف أصابعه . فلم يزل يتكلف ذلك حتى صار مخلعاً بالحق وصار أسوأ حالاً من الأشل . وكان في صغره خياطاً فصار في حال لا يستطيع أن يملك نفسه ولا يمسك أبوه (إبرة) بيده .. » ـ البرصان ، ص ٢١٥ (الصعتري : الشاطر وهو من أعيا الناس خبثاً وحيلاً ـ النيزكية : الشر ـ التخلع : المشية في تفكك ـ نقلاً عن حاشية الكتاب) .

(١٦٢) الحيوان ، ج ٤ ، ص ٤٣٤

(١٦٣) رسالة المعلمين ، الرسائل ، ج ٣ ، ص ٣٢

(١٦٤) البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ٢٤٩

(١٦٥) الحيوان ، ج ٣ ، ص ١٣ ـ ١٥

(١٦٦) البخلاء ، ص ١٢٥

(١٦٧) رسالة مناقب الترك ، الرسائل ، ج ١ ، ص ٥١ و ٥٢

(١٦٨) رسالة في الجد والهزل ، الرسائل ، ج ١ ، ص ٣٧٩ ـ ٣٩٣

(١٦٩) الحيوان ، ج ٥ ، ص ٣٦

(١٧٠) التبصر بالتجارة تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، ص ٣٠ ـ دمشق ١٩٣٢

فالجمال والذكاء وحسن الخلق تجتمع عند الجاحظ وتكتمل في الاعتدال في الصورة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والتناسب بين الأعضاء . قال : « وأنا مبين لك الحسن : هو التام والاعتدال . ولست أعني بالتام تجاوز مقدار الاعتدال كالزيادة في طول القامة وكدقة الجسم أو عظم الجارحة من الجوارح أو سعة العين أو الفم مما يتجاوز مثله من الناس المعتدلين في الخلق ، فإن هذه الزيادة متى كانت فهي نقصان من الحسن وإن عدت زيادة في الجسم . والحدود حاصرة لأمور العالم ومحيطة بمقاديرها الموقوتة لها . فكل شيء خرج عن الحد في خلق حتى في الدين والحكمة اللذين هما أفضل الأمور فهو قبيح مذموم .

« وأما الاعتدال فهو وزن الشيء لا الكمية .. ووزن النفوس في أشباه أقسامها . فوزن خلقة الإنسان اعتدال محاسنه وألا يفوت شيء منها شيئاً : كالعين الواسعة لصاحب الأنف الصغير الأفطس ، والوجه الضخم لصاحب البدن المجدّع النضو ، والظهر الطويل لصاحب الفخذين القصيرتين ، والظهر القصير لصاحب الفخذين الطويلتين ، وكسعة الجبين بأكثر من مقدار أسفل الوجه ... وإنما نعني بالوزن الاستواء في الخرط والتركيب ... » (كتاب القيان ، الرسائل ، ج ٢ ، ص ١٦٢ و ١٦٣)

على أن الجاحظ كان من سعة آفاق التفكير والملاحظة بحيث يعلم أن الجمال ليس له مقياس واحد ثابت ، ويعلم أن معايير الجمال تختلف وترجع إلى عوامل كثيرة مثل الكثرة أو الندرة والإلفة أو الاستطراف والتشابه أو التخالف في الصورة والألوان أو نزعات اجتماعية ونفسية تتحكم بها ظروف كثيرة ومعقدة اقتصادية واجتماعية وفكرية ...

فهو يقول : « قالوا : وإن نظر البيضان إلى نساء السودان بغير عين الشهوة فكذلك السودان في نساء البيضان . على**أن الشهوات عادات وأكثرها تقليد** . من ذلك أن أهل البصرة أشهى النساء عندهم الهنديات وبنات الهنديات والأغوار ، واليمن أشهى النساء عندهم الحبشيات وبنات الحبشيات ، وأهل الشام أشهى النساء عندهم الروميات وبنات الروميات . وكل قوم يشتهون جلبهم وسبيهم ، إلا الشاذ وليس على الشاذ قياس » . (رسالة فخر السودان على البيضان ، الرسائل ، ج ١ ، ص ٢١٥)

(١٧١) البرصان ، ص ٣٥٢

(١٧٢) الحيوان ، ج ٥ ، ص ٣٣٢ .

(١٧٣) الحيوان ، ج ٥ ، ص ١٠٤ .

(١٧٤) البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ٩٤ ـ البرصان ، ص ٣٠٧ ـ ٣٠٩ .

(١٧٥) البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ٤١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(١٧٦) البرصان ، ص ٣٠٨ و ٣٠٩ .

(١٧٧) البرصان ، ص ٣٢١ و ٣٢٢ .

(١٧٨) الحيوان ، ج ٥ ، ص ٣٣١ و ٣٣٢ .

(١٧٩) الحيوان ، ج ٤ ، ص ٢٢٩ .

(١٨٠) الحيوان ، ج ٤ ، ص ٢٣٠ .

(١٨١) الحيوان ، ج ٥ ، ص ٣٢٣ .

(١٨٢) الحيوان ، ج ٣ ، ص ٣٠٥ .

(١٨٣) البرصان ، ص ٢٩٤ ـ ٢٩٦ .

(١٨٤) البرصان ، ص ٣٠٢ .

(١٨٥) البرصان ، ص ٢٩٢ ـ ٣٠٠ .

(١٨٦) البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ١٢٠ ـ ١٢٩ .

(١٨٧) البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ١٦٧ ـ ١٦٩ .

(١٨٨) البرصان ، ص ٣٢٣ .

(١٨٩) الحيوان ، ج ٣ ، ص ٩١ .

(١٩٠) البرصان ، ص ٣١٨ .

(١٩١) البرصان ، ص ٢٩٨ .

(١٩٢) البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ٢٣١ .

(١٩٣) البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ١٧١ .

(١٩٤) البخلاء ، ص ١٨٠ .

(١٩٥) البرصان ، ص ٣٢٣ .

(١٩٦) البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ١٢٦ .

(١٩٧) تاريخ الأدب العربي ، ج ٣ ، ص ١١٨ (الترجمة العربية)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(١٩٨) دائرة المعارف الإسلامية (الجديدة) ، م ٢ ، ص ٩٢٧ و ٩٣٨ (في الفرنسية)

(١٩٩) الفراسة عند العرب ، ص ٥١ و ٥٧ و ٥٨ .

عبد الكريم زهور عدي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net